منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

الاسلام وايران

الجزء الاول

الاسلام وايران

تأليف

الشهيد آية الله مرتضى المطهري

ترجمة

محمد هادي اليوسفي الغروي

الجزء الاول

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الكتاب: الاسلام و ايران
المؤلف: الشهيد آية الله مرتضى المطهري
المترجم: محمد هادي اليوسفي الغروي
المطبعة: سپهر
عدد النسخ: ١٠٠٠٠ نسخة
الناشر: قسم العلاقات الدولية ــ منظمة الاعلام الاسلامي

الفهرست

الموضوع ..... الصفحة

مقدمة الناشر ٧
بين يدي الكتاب ٨
مقدمة المؤلف ١٥
بين الاسلام و ايران ١٩
السابقة التاريخية لمسألة القومية ٢٢
مقاييس كلاسيكية ٢٥
الوحدة اللغوية ٢٦
وحدة التقاليد ٢٨
الوحدة الاقليمية والطبيعية ٢٨
دور المثقفين ٣١
الحدود الحقيقية ٣٣
الآلام المشتركة ٣٤
عوامل الوحدة ٣٥
أمة في طريقها الى الحياة ٣٨
نحن والاسلام ٤٩
القومية اليوم ٥٠
لفظة «الملّة» ٥٤
كلمة «الملّة» في المصطلح الفارسي اليوم ٥٥
القومية والمجتمع ٥٥
العصبيات القومية ٥٨
القومية والناسيونالية ٥٨
مقياس القومية ٥٩

الاسلام والقومية ٦٢

الفصل الأول:

في أن دعوة الاسلام كانت دعوة عالمية ٦٣
المقاييس الاسلامية ٦٨
اسلام الفرس ٧٠
بدء اسلام الفرس ٧١
متى بدأت خدمات الفرس للاسلام؟ ٧٢
الفصل الأول: في النشاط الاسلامي لأبناء الفرس في اليمن ٧٣
اسلام أبناء الفرس في اليمن ٧٦
ردّة العنسيّ وجهاد الأبناء ضده ٧٩
كتاب النبي الى الأبناء ٨١
مؤامرة الابناء لقتل العنسي ٨١
ردّة أهل اليمن ثانية وجهاد الابناء ٨٢
هزيمة الفرس امام الاسلام ٨٥
الفرس والحكم الفارسي ٨٧
تسرّب الاسلام الى قلوب الفرس ٩٠
أمّا اللغة الفارسية ٩٦
وأمّا المذهب الشيعي ١٠١
الموضوع الأول ١٠٣
تغلب الاسلام على العصبيّات ١١١
تشيع الفرس ١١٣
وإهانة باسم الدفاع ١١٥

مقدمة الناشر:

من جديد؛ انطلق نداء الاسلام الاصيل من ايران، ايران الثورة، ايران الاسلام، ايران التي حطم شعبها عروش الظالمين المتحكمين بقيادة القائد الفذالبطل الامام الخميني حفظه الله وراح يعلنهاللعالم كل العالم ان لاخلاص له الا بالاسلام، و ان لامنهج لسعادته الحقيقية الا منهج القرآن الاصيل، و يدعوكل الشعوب الاسلامية انترجع الى ذاتها و شخصيتها الاسلاميته الحقيقة فتكون خير امة اخرجت للناس. و هي بذلك تفجر اعظم ثورة فى القرون الاخيرة بوجود الطاغوت الارضي المستحكم.

ايران هذه؛ احياها الاسلام مرتين، مرة عند ما دخلت لاول مرة فى الاسلام فانقذهامن وهدة الضياع المادي البئيس، و اخرىٰ عندما فجر فى شعبها هذه الثورة الاسلامية الكبرى...

و بين الفترتين روابط تختلف من حال الى حال تتبعها فقيد الثورة الاسلامية و شهيد الامة الكبير آية اللّه المطهري محللاً بنفس صبور و صبر دؤوب راداً على الشبهات القومية الضيقة، و الوطنية المضادّة للروح الاسلامي مقدماً بذلك اضواء رائعةً فى هذا المجال، و من الجدير بالذكر إن الكتاب انتشر قبل نجاح الثورة الاسلامية بسنين عديدة و كان له دوره فى التوعية و دفع الشبهات.

فالى قراءة هذه الفصول الممتعة ندعو القراء الاعزة راجين ان يكون لها الا ثر الكبير فى كشف بعض الاجزاء الغامضة من تاريخنا الاسلامي المجيد.

و اننا لنتضرع للبارى العلي القديران يمن علينا بتحقق الدولة الاسلامية العالمية الواحدة حيث الدين كله للّه.

والله المنان الموفق

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

بين يدي الكتاب

كنت بمدرسة الصدر فى النجف الاشرف عام ١٣٨٣ هـ بعد أن قام طاغية ايران اذ ذاک بما اسماه «الثورة البيضاء للشاه و الشعب» و كان من نتائج ثورته قانون بعنوان «قانون حماية الأُسرة» و اعظم مافيه بنود تخالف نصّ رسول الاسلام صلى الله عليه و آله اذقال: «الطلاق بيدمن اخذ بالساق».

ووقع الىّ هناک ــ من قادم كريم من ايران ــ اعدادمن مجلة مصورة فارسية خاصة بالمرأة باسم «زن روز= المرأة العصر ية» وفيهامقالات للمرحوم الاستاذ الشهيدالعلاّمة الشيخ مرتضى المطهرى الخراسانى(قده) ينتقد فيها هذا القانون المخالف لشر يعة الله تعالى. فسألنا المشايخ يومذاک عنه فقالوا فيه: انه من الأفراد البارز ين من مجتهدى تلامذة المرحوم آية الله السيد حسين البروجوردى(قده) و بعد وفاة استاذه تقبّل التدر يس بكلية «الالهيات= الشر يعة» فى طهران فى الفلسفة الاسلامية و غيرها و كان من فروع التار يخ الاسلامى المقرّر تدر يسه فى هذه الكليه فى ايران دروس بعنوان «الاسلام و ايران» كان النظام السابق اللا اسلامى يقصد من وراء ذلک تقر ير ما قدمه الايرانيون من خدمات و جهود فكر ية و علمية، و غيرها للاسلام اكثرمن أن يكون قاصداً لتقر ير معطيات الاسلام للمسلمين فى ايران! اى كان قاصداً بذلک خدمة قومية و طنية لتار يخ ايران اكثر من اين يكون قاصداً بذلک تقر يراً التار يخ الاسلام و معطياته و آثاره!

فعمد المرحوم الاستاذ الشيخ الشهيد(قده) لد حض ذلک الى ثلة من المهندسين المؤمنين حديث اقاموا ندوة باسمهم استمرت قائمة اكثرمن ار بعة عشر عاماً، القى فيها الاستاذ الشهيد الفصل الاول من هذا الكتاب بعنوان «الاسلام و الامم».

و فى سبيل المساعى الفكر ية الاسلامية الى جانب «ندوة المهندسين الاسلامية»

بنيت مؤسّسة باسم «حسينية ارشاد» فالقى الاستاذ المؤلف فيها الفصلين الثانى و الثالث ضمن محاضرات ست، و كانت تسجّل هذه المحاضرات بمسجلات الصوت «الكاسيت» و تتناقلها ايدى الطلاب الشباب فى كثير من مدن ايران.

ثم تقدم اليه جماعة أن يجمع هذه الفصول و يدونها و يكملها و يصنّفها و يعيد النظرفيها و يسمح لهم بطبعها. و طبع الكتاب بمساعدة بعض الاسلاميين فى الرقابة الحكومية على المطبوعات، فتصدت المجلة المجوسية التى كانت تصدر يومئذٍ فى طهران باسم «هوخست» تصدت للتهجّم على الكتاب و مؤلفه الكريم باسم النقد، و سبب هذا فى عرقلة اعادة طبع الكتاب للمرة الثانية، و ان طبع بعدذلک. والكتاب بفصوله الثلا ثة يحاول الاجابة على اسئلة ثلا ثة:

١ــ اعتنقت الاسلام امم كثيرة اعتقدت به و دخلت فى خدمته وسعت فى سبيل نشره وتنفيذ تعاليمه وارشاداته وساهمت فى اقامة حضارة اسلامية عظيمة. فماحظنا ــ نحن الايرانيين ــ من هذه الخدمات لهذا الدين الحنيف؟ و ماهى منزلة ايران على هذاالصعيد؟ فهل انها حازت قصب السبق فى هذا الميدان؟ ام ماذا؟ ثم ماذا كانت دوافع الايرانيين الى ذلک؟

٢ــ دخل الاسلام الى ايران منذ اربعة عشر قرناً، فما هى التغييرات التى اوجدها فى هذه البلاد؟ و فى اى جهة كانت تلک التغييرات؟ فما الذى منحه الاسلام لايران و ما الذى اخذه منها؟ و هل كان دخول الاسلام الى ايران موهبة إلهية ام فاجعة! كما يصورها بعض العنصريين.

٣ــ لا تبلغ النسبة المئوية لغير المسلمين فى ايران سوى اثنين بالمئة، والمسلمون يشكلّون بقية النسبة اى ٩٨٪ هؤلاء يعتقدون بالاسلام ديناً، و يحبون ايران وطناً، و لذلک فهم يودون أن يدركوا بوضوح تلک المسائل التى ترتبط بالاسلام و الوطن و القومية. و بعبارة اخرى: ان لنا أحاسيس دينية و اخرى وطنية و قومية، فهل هناک تناقض بين هذين الاحساسين او لا؟

و يقول الاستاذ المؤلف عن كتابه فى مقدمته: مع أن الضرورة كانت تفرض على المفكرين المسلمين القيام بدراسة و تحليل هذه المسائل و ايضاحها لشباب الجيل، فان هذا الكتاب هو الاول من هذا النوع فى موضوعه، و لم يقدم غيرى احد على اقتحام هذا الميدان، مع توفّر ارضية التحقيق فى هذه المسائل. و اقول بقيام الضرورة فى ذلک نظراً الى ان اكثر الذين اجروا اقلامهم فى هذه المسائل امالم يكن لهم الاطلاع الكافى على جوانب الموضوع اوكان دافعهم اليهاشنشنة سوى التحقيق، فقد اطلعت اثناء مطالعاتى فى هذا الموضوع على أن التحريفات كانت اكثر مما كنت اتصور» وآن هناک سعياً حثيثاً لتصوير العلاقات بين

الاسلام و ايران على خلاف الواقع و الحقيقة، و قد حدثت فى ايران حركات وقعت مستمسكاً لبعض المغرضين من «المستشرقين» و غيرهم مما جرّأهم على أن يصوّروها بعنوان ردّ الفعل الايرانى امام الاسلام كالفارسية و الشعوبية وحتى التصوّف بل و حتى التشيّع، كما صوّروا بعض الشخصيات الفارسية بمظاهر المقاومة السلبية أمام الاسلام من أمثال الحكيم الايرانى أبى القاسم الفردوسى و الفيلسوف الكبير الشيخ شهاب الدين السهروردى المعروف بلقب «شيخ الاشراق».

و هذا الكتاب خير اجابة مفيدة لردّ جميع هذه الشبهات و الافتراءات والتّهم، و اثبات أن العلاقات بين الاسلام و ايران تشكل مفخرة للاسلام و لايران: انها مفخرة للاسلام لانها تثبت أن هذا الدين بمافيه من انسانية فذة و عطاء خالد استطاع أن يجذب الى نفسه امة متمدنة مثقفة متفكرة و يصهرها فى نفسه. و انها مفخرة لايران لانها تثبت أن هذه الامة بمافيها من روح حب الحقيقة و الثقافة و المرونة و عدم التعصّب لغير الحق، كانت اسبق الأمم الى الخضوع لحقيقة الاسلام، بل والى التضحية و الفداء فى سبيله».

و لقد حاول المحتالون من مغرضى المستشرقين أن يستغلوا اقبال المسلمين فى ايران على اعتناق مذهب أئمة اهل البيت عليهم السلام و انتساب الأئمة من ابناء الامام الحسين بن على عليه السلام الى الفرس عن طريق ام الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، فادّعوا أن الايرانيين انما دخلوا الى مذهب اهل البيت عليهم السلام خروجاً عن الاسلام و مروقاً عن الدين ارتدادا الى جاهليتهم المجوسية! و جعلوا من ام الامام زين العابدين عليه السلام برهاناً على ادّعائهم هذا!

و انخذع بحيل هؤلاء المستشرقين الاستعماريين فريقان:

فريق فى غير ايران من متجددى المثقفين المسلمين، حيث صدّقوا بمالفّقه اولئك المبطلون و راحوا يكيلون التّهم و الافتراءات على اخوانهم المسلمين فى ايران، فى كتب توصف بانها دراسات فى تحليل التاريخ الاسلامى، كفجرالاسلام و ضحاه و غيرهما.

و فريق آخر فى داخل ايران ايضاً من متجدّدى المثقفين العنصريين اللاّ اسلاميين، حيث رفعوا عقيرتهم، على عهد البهلوى ــ يقولون: اجل، ان اسلافنا الايرانيين و جدوا أن أحسن السبل للوصول الى الاستقلال و التحرر عن العرب و غيرهم من المسلمين هو أن يطلبوا استقلالهم السياسى على أساس استقلال مذهبى طائفى فلجأوا الى مذهب التشيع لذلك، دون أن يكون هوالهدف الأساس!

و لنقد هذه التوهمات و ردّها تصدى الاستاذ الشهيد فى كتابه القيّم. و قد اجهد نفسه لاريب فى سبيل تأليف و تنسيق ابحاث الكتاب و استنباط النظرات الصائبة من خلال المصادر المعتمد عليها. و هو يضم بين دفتيه عدة ابحاث تحقيقية صافية حول حقيقة الامة

الايرانية و تأثير العوامل الدينية و الثقافية و غيرها فى صياغة هذه الامة.

و قد سبق آن ترجمت فصل «التشيع» من الكتاب و طبع فى عددين من السنة الخامسة من مجلة «الهادى» الصادرة من مدينة قم المقدسة، و رغب الاستاذ الشهيد فى ترجمة الكتاب كله، فأخذت فى ترجمته حتى بلغت منتصف الكتاب فانتصرت الثورة الاسلامية المباركة، و عرف الاستاذ المؤلف فيها عضواً كبيراً بل اكبر اعضاء مجلس الثورة بطلب من الامام القائد السيد الخمينى دام ظله.

و لم يكن من الهيّن على المستعرين آن يروا رجال هذه الثورة الاسلامية المظفرة مستمرين فى سبيل توطيد دعائم دين الله بين عباده، فدفعوا بعملائهم الى اغتيال هؤلاء الابطال، و فى مقدمتهم الشهيد الاستاذ الشيخ المطهرى(قده) حيث اغتيل فى ليلة مظلمة من ليالى شهر جمادى الاولى اى بعد نحو من ثلاثة اشهر عقب انتصار الثورة المباركة. فتغمده الله برحمته و أسكنه الفسيح من جنته و حشره مع الشهداء و الصدّيقين، و حسن اولئك رفيقاً.

و بما آن المؤلف الشهيد(قده) كان قد كتب الكتاب عن خدمات الايرانيين للاسلام قبل قيام هذه الامة بهذه الثورة الاسلامية المباركة التى هى اكبر خدمة قدّمت للاسلام فى هذا العصر، لذلك لايجد القارئ الكريم فى هذا الكتاب شيئاً عن هذه الخدمة العظمى. و حاولت أن أسدّ هذا الفراغ فى هذه المقدمة للكتاب ولو بآقل الواجب، فرأيت أن أنسب مقال نسدّ به هذا الفراغ ما قاله قرين المؤلف، شهيد العلم و الاسلام الامام الصدر(قده) فى رسالته الى علماء لبنان عن خدمة هذه الامة المسلمة للاسلام بهذه الثورة العظيمة، اذ كتب يقول:

«وقد استطاع الشعب الايرانى المسلم أن يشكل القاعدة الكبرى لهذا الرفض البطولى «رفض كل الوان الباطل و الاصرار على التعلق بدولة الانبياء و الائمة دولة الحق و العدل» و الثبات الصامد على طريق دولة الانبياء و الائمة و الصدّيقين، باعتباره (الشعب الايرانى المسلم) الجزء الاكثر التحاماً مع المرجعية الدينية و أسسها الدينية و المذهبية.

و قد بلغت هذه القاعدة الرشيدة ــ بفضل القيادة الحكيمة للمرجعية الصالحة التى جسّدها الامام الخمينى دام ظله ــ قمة وعيها الرسالىّ و السياسى الرشيد، من خلال صراعها المرير مع طواغيت الكفر، و مقاومتها الشجاعة لفرعون ايران الحديث، حتى استطاعت أن تلحق به و بكل ما يمثله من قوى الاستعمار الكافر اكبر هزيمة يمنى بها المستعمر الكافر فى عالمنا الاسلامى.

و كان من الطبيعى أن يزداد الشعب الايرانى المسلم ايماناً برسالته التاريخية العظيمة، و شعوراً بأن الاسلام هو قدره العظيم، لانّ بالاسلام، و بزخم المرجعية التى بناها الاسلام، و بالخمينى القائد، استطاع (الشعب الايرانى المسلم) أن يكسر أثقل القيود، و يحطّم عن معصميه تلك السلاسل الهائلة! فلم يعد الاسلام هو الرسالة فحسب، بل هو أيضا المنقذ و

القوة الوحيدة فى الميدان، التى استطاعت أن تكتب النصر لهذا الشعب العظيم.

و من هنا كان طرح المرجعية الرشيدة للجمهورية الاسلامية شعاراً و هدفاً و حقيقةً، تعبيراً حياً عن ضمير الامة و تتويجاً لنضالها بالنتيجة الطبيعية، و ضماناً لاستمرار هذا الشعب فى طريق النصر الذى شقه له الاسلام.

والشعب الايرانى العظيم بحمله لهذا المنار، و ممارسته مسؤوليته فى تجسيد هذه الفكرة و بناء الجمهورية الاسلامية ــ يطرح نفسه لاكشعب يحاول بناء نفسه فحسب، بل كقاعدة للاشعاع على العالم الاسلامى و على العالم كله، فى لحظات عصيبة من تاريخ هذه الانسانية، يتلفت فيها كل شعوب العالم الاسلامى الى المنقذ من هيمنة الانسان الاوروبى والغربى و حضارته المستغلة، و يتحسّس فيها كل شعوب العالم بالحاجة الى رسالة تضع حداً لاستغلال الانسان للانسان.

على هذا الاساس يقوم الشعب الايرانى المسلم، فى هذه اللحظات الزاخرة بالتاريخ، والغنية بمعانى البطولة والجهاد، والمفعمة بمعانى النصر وارادة التغيير. يقوم هذاالشعب بدوره التاريخى، فيضع لاول مرة فى تاريخ الاسلام الحديث ــ دستوراً للجمهورية الاسلامية، و يصمم على أن يجسّد هذا الدستور فى تجربة رائعة ورائدة.

وكما هزّ هذاالشعب العظيم ضمير العالم و زعزع مقاييسه المادية بقيمه التى جسّدها فى مرحلة المبارزة، كذلك يهز ضمير الانسانية المضللة ووجدان الملايين المعذّبين، و يغمر العالم بنور جديد هونور الاسلام، الذى حجبه الانسان الغربي وعملاؤه المثقفون، و بذلواكل وسائلهم ــ من الاحتلال العسكرى الى التشويه الثقافى والتحريف العقائدى ــ فى سبيل ابعاد العالم الاسلامى عن هذا النور، لكى يضمنوالانفسهم السيطرة عليه و يفرضوا عليه التبعية.

ان الاسلام الذى حجزه الاستعمار عسكرياً و سياسياً فى قمقم، ليصبغ العالم الاسلامى بما شاء من الوان، قدانطلق من قمقمه فى ايران، فكان زلزالاً عل الظالمين، ومثلاً اعلى فى بناء الشعب المجاهد و المضحّى، وسيفاً مصلتاً على الطغاة و مصالح الاستعمار، و قاعدةً لبناء الامة من جديد.

ولم يبرهن الامام الخمينى باطلاقه للاسلام من القمقم على قدرته الفائقة، و بطولة الشعب الايرانى فحسب، بل برهن ايضاً على ضخامة الجناية التى يمارسها كل من يساهم فى حجز الاسلام فى القمقم و تجميد طاقاته الهائلة البنّاءة، وابعادها عن مجال البناء الحضارى لهذه الامة.

و هذا النور الجديد الذى قدّر للشعب الايرانى ان يحمله الى العالم سوف يعرّى ايضاً تلك الانظمة التى حملت اسم الاسلام زوراً، بنفس الدرجة التى يدين بها الانظمة التى رفضت الاسلام» (اللمحة الفقهية ص ١٤ ــ ١٨).

و منذ اطلاق الامام الصدر (قده) لهذه التصريحات الخطيرة التى كانت كما يقول: «تعرّى الانظمة التى حملت اسم الاسلام زوراً بنفس الدرجة التى يدين بها الانظمة التى رفضت الاسلام» منذ ذلک الحين اشفقت عليه نفوس المؤمنين من سطوة طاغوت العراق الحديث، و بالفعل فقد وقع المحذور و القى القبض على الامام و اشخصه من النجف الاشرف الى بغداد، و لكنّه هابه هذه المرة فردّه بعد مدّة الى النجف الاشرف و احتجزه فى داره تحت حراسة مشددة، و بعد الضغط عليه بالتنازل عن موقفه هذا و ابائه اشخصه الى بغداد ثانية، و ردّه هذه المرّة دون ان يهابه، و لكنه ـ واخته المفكرّة الكاتبة بنت الهدى ـ شهيدان مضرجان بدمائهما! جزاهما الله عن الاسلام و المسلمين خير جزاء الشهداء و الصدّيقين.

و لا ريب أنه كان يريد ـ بموقفه هذا ـ الاقتداء بالامام القائد السيد الخمينى دام ظله، فى قيادة شعبه فى العراق الجريح نحو تحقيق الجمهورية الاسلامية هناک. و الله هو المسؤول أن يحقق أمل هذا الشهيد العظيم فيمن يقتفى اثره بعده من علماء المسلمين المفكرين. و ما ذلک على الله بعزيز.

المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

هنالک ٩٨٪ منا ــ نحن الايرانيين ــ مسلمون[١] و هذا العدد يعتقد بالاسلام بعنوان انه دين وايمان، و يحب ايران بعنوان أنها مسقط رأسه. و لذلک فنحن نودّ أن ندرک بوضوح تلک المسائل التی ترتبط بايماننا و اعتقادنا من ناحية، و بمسقط رأسنا الذي نحبّه من ناحية اخرى. و هذه المسائل تتلخّص فی مسائل ثلاث:

١ــ اِنّ لنا أحاسيس دينية، و أحاسيس ارضية، فهل ان لنا ــ بهذين الاحساسين ــ إحساسين متضادّين؟ اوليس هناک تضادّ و تناقض بين هذين الاحساسين؟

٢ــ لقد دخل الاسلام الی وطننا منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فياترى ماهی التغييرات التی اوجدها الاسلام فی وطننا هذا؟ و فی أي ناحية كانت تلک التحوّلات؟ فاذا أخذ الاسلام من ايران؟ و ماذا أعطاها؟ و هل كان دخول الاسلام اِلی ايران موهبة إلٰهية؟ ام فاجعة!

٣ــ لقد اعتنق الاسلام امم كثيرة اعتقدوا به و دخلوا فی خدمته وسعوا فی سبيل نشره و تطبيق تعاليمه، و شاركوا فی المساعی من أجل اقامة حضارة اسلامية عظيمة. فياترى ماحظنا نحن الايرانيين من هذه الخدمات لهذا الدين الحنيف؟ و ماهي منزلة ايران فی هذه الناحية، فهل انها حازت قصب السبق فی هذا المجال؟ ام ماذا؟ ثم ماذا كانت دوافع الايرانيين فی ذلک؟

انا ارى أن هذه الأسئلة الثلاثة هی عمدة الأسئلة فی باب المسائل المشتركة بين

---

١ ــ وفقاً للاحصائيات الرسيمته.

الاسلام و ايران.

و الكتاب الحاضر يشتمل على فصول ثلاثة:

١ــ الاسلام و القومية.

٢ــ معطيات الاسلام لايران.

٣ــ خدمات الايرانيّين للاسلام و المعارف الاسلامية.

و هذه الفصول الثلاثة على التوالي تجيب على تلك الأسئلة الثلاثة.

هذا، و ان الكتاب فى الأصل بفصوله الثلاثة تفصيل و تكميل لعدة محاضرات القيتها قبل أعوام:

فالفصل الأول تفصيل لمحاضرات ثلاث القيتها فى المحرم من عام ١٣٨٨ هـ

و الفصل الثانى و الثالث تفصيل لستّ محاضرات القيتها فى شهر صفر من نفس السنة، بعنوان «معطيات الاسلام للايرانيين و خدمات الايرانيّين للاسلام».

و لم أر بين خطاباتى التى القيتها فى مدة اقامتى فى طهران، أىِ خطاب يقع موقع الاقبال و الالتفات اكثر من هذه الخطابات، و خصوصاً منها هذه الخطاباتَ الستة التى القيتها تحت العنوان الآنف الذكر. فكان الكثير من طهران و ساير البلدان يراجعوننا لذلك، و كانت الأشرطة الصوتيّة تسجّل بكثرة و توزّع، وخصوصاً من قبل طبقة طلاب الجامعات و المعاهد، و من ساير الطبقات أيضاً.

ولم يكن هذا الاقبال و العناية لميزة خاصة فى تلك الخطابات، وانماهما لعاطفة الايرانيين الطبيعية بالنسبة اِلى المسائل المشتركة بين الاسلام و ايران.

و حسب اطلاعي اقول آسفاً: مع اِنّ الضرورة قاضية بلزوم تحليل هذه المسائل و توضيحها مهما أمكن، و جعلها فى متناول كافة الطبقات و بالخصوص فى متناول شباب الجيل... مع ذلك فان هذا الكتاب هو الاول من هذا النوع فى موضوعه، ولم يقدم أحد قبلى على ذلك. و ان ارضية البحث و التحقيق فى هذه المسائل متوفرة، و اذا عزم باحث على العمل فى سبيل البحث الوافى فى جميع المسائل المشتركة بين الاسلام و ايران، لاستغرق بحثها عدّة مجلدات ضخام. ولى أمل أن يكون هذا الكتاب فاتحة تبعث الذين لهم فرصة من الوقت اكثر على أن يؤدّوا هذا الموضوع حقّه أحسن من هذا.

و بما أن اغلب الذين اجروا أقلامهم فى هذه المسائل المشتركة بين الاسلام و ايران، اِمّا لم يكن لهم الاطلاع الكافى على جوانب الموضوع، اوكان ما يبعثهم على البحث دافع آخر غير التحقيق... لذلك فان هذه المسائل لم تُطرح الى الآن بصورة صحيحة، مع ما لها من الأرضية الواضحة. أنا كلماطالعت فى هذا الموضوع اكثر فاكثر التفتّ اكثر من ذي قبل الى أن

هذا البحث مما يبعث على الفخر، للاسلام: و لايران كليهما! أما انه يبعث على الفخر للاسلام: فلانه يثبت أن هذا الدين بما فيه من «انسانية فذّة و عطاء خالد» استطاع أن يجتذب الى نفسه امة متحضرة متمدنة مثقفة مفكرة، بل و أن يصهرها فى نفسه. و أما انه مفخرة لايران: فلانه يثبت أن هذه الأمة بما فيها من روح حب الحقيقة و الثقافة، بما هى عليه من المرونة و الوجدان و عدم التعصب، كانت اسبق امة إلى الخضوع للحقيقة المتمثلة بالاسلام ــ بل و الى التضحية و الفداء فى سبيلها.

و مما لاحظته أيضاً ضمن مطالعاتى فى الموضوع، هو: أن التحريفات التى تحققت حول هذا الموضوع اكثر مما كنت أتصور، و أن السّعى حثيث لتصوير العلاقات بين الاسلام و ايران على خلاف الواقع و الحقيقة.

فقد حدثت فى ايران حوادث اصبحت مستمسكاً لبعض المغرضين من المستشرقين و غيرهم، مماجزّأهم على أن يصوروها بعناوين: «المقاومة» و ردّ الفعل الايرانى المخالف أمام الإسلام. و ذلك من قبيل حركات الشعوبية، و الفارسية، و التصوف. بل و حتى التشيع... كما صوروا بعض الشخصيات الفارسية بمظاهر هذه المقاومة السلبية من أمثال الحكيم الايراني العظيم أبي القاسم الفردوسى، و الفيلسوف الكبير الشيخ شهاب الدين السهروردي المعروف بلقب شيخ الاشراق.

و باستطاعة مباحث هذا الكتاب أن تكون اجابة مفيدة على جميع هذه المسائل و غيرها. و قد كنت أحببت أن ابحث حول افكار الفردوسي و شيخ الاشراق بحثاً مستقلاً احلل فيه افكارهم حول هذا الموضوع، ولكن لم يكن يتفق ذلك مع ما كنت قد عنونت به بحثى فى البداية، و كان ذلك بحاجة الى فرصة اكثر و بحث اوسع. و قد بحثنا حول اللغة، و مذهب التشيع، فى الفصل الاول من الكتاب بصورة مختصرة من هذه الناحية. و سيقف القارئ الكريم فى طىّ الكتاب على مسائل اخرى من هذا القبيل بحثنا حولها من هذه الناحية أيضاً.

و سنستفيد مما يذكر نابه المحققون المخلصون للحقيقة بعد مطالعتهم للكتاب، و نفيد منها القراء الكرام فى الطبعات الآتية انشاء الله تعالى.

مرتضى المطهري

بين الاسلام وايران

فى هـذه الايـام التى اصبحت فيها الروابط بين الأُمم المختلفة و مصادماتها حديث كل صبـاح، اصبـحـت مسألة القومية و عناصرها البنّاءة، و حدودها و ثغورها، هى احدى تلك المسائل،بل لعلها من أهمها.

و فى هذه العشرات من الاعوام الأخيرة، تشكلت امم كثيرة هى اكثرمن خمسين أُمة، وجـدت اسـمـها و شكلها و صورتها و عنوانها بين الأُمم. و بازاء هذا، ان تكن قد عدمت امة، فـقد انقسمت امم و دول الى قسمين او اكثر، واخذ كل قسم منها شطره فى الحياة. و تغيّر من امـم اخـرى محـتـواها بما لها من الخصائص الفكر ية الدينية و الجغرافية المعينة و بما لها من نظام فـكـري و اجـتـمـاعي، إلى نظام آخر مخالف لنظامه السابق تماماً. و كان يصاحب و يواكب جميـع هـذه الـتـغييرات أعوام و سنين من المقاومة و المساعِى، و الدماء و الاضاحي، و كانت تـسـتـغـرق مقداراً كثيراً من الوقت و القوى فى طريقها إلى الوجود، و كان لها كثير من الفداء و القر بان، ان صغيراً او كبيراً.

فـهل أن الأُمم التى وجدت فى هذه المدة لم يكن لها وجود قبل ذلك؟ اولم تكن تلك الأُمـم التى قـد تـفـكـكّت و تحلّلت اسماً أصيلة مستقرّة قائمة على قدميها؟ و هذه الأُمم التى قد غـيّرت من انظمتها، هل هى نفس تلك الأُمم من ذي قبل؟ ام ليست هى نفس تلك الأُمم حتى وان كـانـت قـد احـتـفظت بكثيرمن خصائصها كاللغة والعنصر و الحدود الجغرافية؟! ثم نحـن نـرى الـيوم أن اكثر المسائل السياسية و الاجتماعية و العسكر ية اليوم انما تعنون فى أُطُـر قـوميـة و فى اطر مصالح الأُمة و منافعها، و ان القومية قد اصبحت من اكثر المدارس الفكر ية رواجاً و ذيـوعـاً و اقـبـالاً بين الـنـاس، و حتى أنّ الآيد يولوجيات الاجتماعية و السياسية التى كـانـت فى الأصـل تخـالـف الـصبغة القومية، إذا تبنّت. حركة أونهضة أوثورة، صبغتها بصبغة

قومية وطنية اوعنصر ية.

و إنّ مسألة القومية بالنسبة لنا نحن الايرانيين أيضاً من حديث اليوم. فانّنا و ان لم يصبح وطننا فى معرض تعدّ اوهجوم أجنبّى الآن، إلاّ أن في مفهوم كل فرد مناعن القومية الايرانية اختلافاً كثيراً، بل قد يصل أحياناً إلى التناقض و التضّاد. فانّ لنا الآن عنصر ين؛ احدهما: فكري دينى و اجتماعي و ثقافى يرتبط بهذه الأر بعة عشر قرناً من تار يخ الاسلام، و الآخر: عنصر أسلافى يرتبط بما قبل هذه القرون الأخيرة: فنحن نرتبط من حيث العروق و الجذور الطبيعية و العنصر ية بالأقوام و الأُمم الآر يّة، و من حيث البناء الفكري و الثقافي و النظام الاجتماعي بالاسلام، الذي جاء من قبل غير العنصر الآري. فانِ تقرّر أن تكون الأصالة فى تعر يف الأُمة للعنصر و الدّم، كانت القومية هنا شيئاً؛ و اذا اعطينا الأولو ية فى تعر يف الأُمة لعنصر النظام الاجتماعي و الفكري الممتد طوال هذه القرون الأر بعة عشر الاسلامية، كانت سيرتنا فى مستقبل امتنا و قومنا شيئاً آخر على خلاف ماسبق. اذاتقرّر أن يكون الأساس فى تعيين حدود الأُمة الايرانية: هو العنصر الآري، كانت النتيجة فى نهاية الشوط الاقتراب من العالم الغربى، و كان لهذا الاقتراب فى سيرتنا القومية و السياسية تبعات و آثار أخطرها الانقطاع عن الأُمم المسلمة المجاورة غير الآر يّة، و الارتباط باورو با و الغرب، و حينئذٍ يصبح الغرب المستعمرلنا صديقاً قر يباً، و العرب المسلمون بالنسبة الينا بعداء أجانب!... و على العكس من ذلك تماماً فيما اذا جعلنا ملاك امتنا نظامنا الفكري و السلوكي و الاجتماعي لهذه القرون الأر بعة عشر الأخيرة، اذيكون لنا آنذاك سيرة و تكاليف اخرى مغايرة لماسبق، و يصبح حينذاك العرب والترك والهند و الاندونيسيون و الصينيون المسلمون بالنسبة الينا اصدقاء بل اقرباء، و يصبح الغرب غيرالمسلم أجنبياً بعيداً عنّا كل البُعد.

اذن: فالبحث حول القومية ليس بحثاً أكاديميا خالصاً، بل هو بحث واقعى يرتبط بسلوك و سيرة و مستقبل و مصير وحدة اجتماعية و سياسية تسمّى اليوم بالأمة الايرانية، و حينئذٍ يكون طرحها على طاولة البحث و التعقيب و التنقيب مما ينبغى أن يكون.

السابقة التاريخية لمسألة القومية:

ظهر مفهوم القومية بهذه الصورة المتداولة فعلاً فى العالم منذ اوائل القرن التاسع عشر الميلادي، فى الألمان. و هى من احدى ردود الفعل و التبعات التى ظهرت فى اورو با بعد الثورة الفرنسية الكبرى.

و كانت الثورة الفرنسية هى بدورها ردّ فعل عاص على اسلوب الفكر الطبقى و الأُرستقرا طى الأشرافى الذي لم يكن يعترف بقيمة للرأى العام للشعوب أبداً. و منذ تحقق

الثورة الفرنسية اصبحت العمدة فى خطابات المتكلمين والكتّاب و الفلاسفة هى «الأُمة» و الرأى العام و الحرية و المساواة...

والحرية و المساواة اللتان كان القائمون بتنظيم منشور الأُمم المتحدة لحقوق الانسان يدعون انهم هم الذين جاؤوا بهما هدية الى البشرية لم تكونا تعرفان لنفسيهما حدوداً محدودة ولا أُمماً معدودة معيّنة، اذ أنّ أشعة الثورة الفرنسية سرعان ماعبرت الحدود الفرنسية فشملت اوربا كلها خلال عشرسنين، وفى مقدمة أممها الألمان. وفي ألمانيا افتتن الكتّاب والفلاسفة بهذه الأفكار المتحررة حتى أنهم اوقفوا أنفسهم على نشرها و الدّعاية اليها. و كان «فيخته» الفيلسوف الألمانى فى مقدمة هؤلاء الناشرين المتشوقين.

و سرعان ما علم الألمان أن هذه الحرية المدّعاة فى لائحة حقوق الانسان انما تختص بالفرنسيين أنفسهم، و أنه ليس للالمان فيها اي نصيب فكان فيخته اول من رفع صوته بالاعتراض على هذا التمييز بين الانسان الفرنسى و الانسان الألماني، و هو فيما ألقاه من محاضرات فى مؤتمراته التى كان يقيمها فى أكاديمية برلين، بعنوان الاعتراض على هذا التميز، و بعنوان ردّ الفعل أمام اختصاص الحرية والمساواة بالفرنسيين، اعلن عنوان: «الأُمة الألمانية» على حساب انها وحدة واقعية لا تفكك، و انّ لها بخصائصها العنصرية و الجغرافية واللغوية و الثقافية والعرفية و الأخلاقية نُبوغاً ذاتياً، و استقلالاً و مكانة خاصة بها. و هكذا وجدت القومية الألمانية، التى أصبحت فيما بعداً طروحة القومية فى العالم.

ان القومية في مفهوم واضعيها الغربيّين تعنى: أن نجعل الناس المتجمعين في حدود جغرافية معينة، و لهم عنصر مشترك، و سابقة تاريخية ولغة و ثقافة مشتركة، بعنوان أنها وحدات مشتركة لا تقبل التفكيك والانفصام ــ نجعل هذه الأُمور ــ اصلاً للوحدة القومية، و أن نجعل من يدخل فى دائرة مصالح هذه الوحدة و منافعها و مكانتها صديقاً و قريباً، و ماعداه أجنبياً بل عدوّا!

و قد ظهرت فى القرن التاسع عشر الميلادى ردود فعل للثورة الفرنسية، هى ثلاثة فى الأساس:

١ــ ردّالفعل: القومي.

٢ــ ردّ الفعل: المحافظ.

٣ــ ردّ الفعل: الاشتراكي.

وقدعدّعدة من فلاسفة السياسيين ردي الفعل: الاول والثاني منحرفين عن الأُصول مضادّين للثورة، وادّعوا أن الثالث هو المعتدل من الردود[٢].

J.J. Chevallier: Lesgranrdes oeuvres Politiques Troisieme Partie.

و وجدت القومية بعد فيخته مفكرين آخرين مثل: شارل موراس ،و بارس،اللذين اشتركا في تدوين و تنظيم الأفكار العنصرية و القومية و الوطنية لمختلف الامم الاوروبية. و قد تقدم موراس بفكرة «الامة وحدة لا تنفصم» إلى درجة أن قال بشخصية واقعية لمجموع الأُمة حاكمة على ارادة الفرد و شخصيته، و أفرغ هذه الشخصية الجماعية في وجود الدولة الحاكمة. و هذه هي الفكرة التي أصبحت فيما بعد منشأً لوجود انظمة: التوتاليترية، و النازية في الألمان، و نظام الفاشيست في ايطاليا.

و بعد هذا أصبح ما تبقى من القرن التاسع عشر الى اواسط القرن العشرين عصر ظهور الأفكار القومية و العنصرية و الوطنية و تكاملها، في المجتمعات الاوروبية. ان الاتجاهات الاشتراكية أوالمحافظة في اوربا و ان كانت على الصعيد الاجتماعي و السياسي قد اثرت في افكار المثقفين آثاراً كثيرة، و لكنّ الوان العنصريات و القوميات في دول اوروبا كانت شديدة حادّة إلى درجة انها كانت تجعل سائر الألوان فيها سواء الليبرالية و الكنسروية و الاشتراكية الماركسية ــ تحت أشعتها خافتة باهتة. و هذه القومية في الأُمم الاوروبية هي التي ظهرت بصورة عنصرية متطرفة فاشعلت نيران حربين عالميتين. واكثر من ذلك، فان القومية الاوروبية هي التي صادقت على استعمار الامم الشرقية والافريقية و الأمريكية الجنوبية و فسّرتها تفسيراً جميلاً، بالرغم من أنها هي التي كانت ترفع شعارات الحرية و المساواة لافراد نوع الانسان! و حتى أن القرن التاسع عشر والنصف من القرن العشرين اوقل عهد شدة الاستعمار وحدّته في آسيا و أفريقيا، كان يعاصر اتّساع نطاق الافكار القومية للأُمم الغربية.

و ان كتّاب و محققي الغرب على أساس من نفس هذه الافكار، يسمون النهضات والحركات في الأُمم الاخرى أيضاً باسم: الحركات القومية، و ان المثقفين والمفكّرين الشرقيين والإفريقيّين باستحياء من نفس القاموس الفكري و الثقافي الغربي أيضاً، يقبلون هذا العنوان و هذه التسمية لحركات شعوبهم، و هم يرددون لأُممهم نفس تلك المقاييس التي حدّدها الغربيون لامتياز امهم و افتراقها بعضها عن بعض. ان القومية و العنصرية في الدول الغربية و ان كانتا بعد الحرب العالمية الثانية قد تركتا مكانها ــ و على الأقل في المستوى الاقتصادي و الاستعماري و في بعض موارد النظم الاجتماعية ــ لاتحادات أو اتجاهات اقليمية او قطرية، و لكنهم مع ذلك يحاولون في دول اوروبا الغربية و امريكا الشمالية أن يدعوا السيّاح و الطلاب الشرقيين و الافريقيين الى النظرفي صبغتهم القومية، و يحاولوا أن يقنعوهم بأن القومية هي التي تهب للشعوب الغربية الحياة و لثقافتها الحركة و النشاط، و ذلك من أجل أن يحفظ هؤلاء الطلاب هذه الفكرة، فاذا رجعوا الى قومهم يدعونهم اليها و يقنعونهم بها، كي تقوم كل من دول العالم الثالث واحدة واحدة بعناوين القومية و العنصرية

و اللغة و...، فتقا بل كل واحدة منها جاراتها المتساو يات معها، و سائر الدول التى هى مثلها فى الاصابة بمرض الاستعمار الغربى، بالحرب لا الانسجام. و النتيجة هى: أن تصبح الدول الغربية بما لها من قدرات ثقافية و سياسية و اقتصادية: متحدة متراصّة، بينما تصبح الأُمم فى العالم الثالث بما لها من اضطراب و ضعف سياسى و ثقافى و اقتصادى: تعيش كل منها بعيدة عن الاخرى، بل عدوّة لها.

فلنر: هل أنّ للقول بالتمايز الحدودي بين وحدات المجتمع البشري أصالة و حقيقة تطابق الواقع؟ ام لا؟ و اذا كان له مايبرّره فهل أن المقاييس الصحيحة لتلك الحدود هى نفس ما تعلّمنا اياه القومية الغربية؟ ام هى غيرها؟

مقاييس كلاسيكية:

نحن نرى تمييزاً بين مختلف الناس فى الأرض، من الترک و الفرس و العرب، الى الافريقي والاوربى و الآسيوي... فلا تختلف فى هؤلاء الألوان و الصور و الألسنة والخصائص الفيزيائية المختلفة فحسب، بل تختلف فيهم السنن والثقافات وحتى أساليب الفكر، والخصائص الروحية و النفسية أيضاً. فاذا أردنا أن نقسم هؤلاء إلى وحدات اجتماعية مستقلة، فهل نجعل ملاک التصنيف: اللون أو العنصر أو الاقليم او الحدود الجغرافية؟ أو السوابق التاريخية والثقافية؟ او عوامل اخرى غيرها؟ ام ماذا؟.

ان الاحساس القومي هو عبارة عن: احساس او وجدان مشترک، اوشعور جماعي بين عدد كبير من الانسان يشكل لنفسه وحدة سياسية اوقومية مشتركة. و هذا الوجدان الجماعي هوالذي يوجد فى شخصية افراد المجتمع الحاضر و بينهم و بين أسلافهم و الماضين منهم روابط وعلاقات، و هى التى تصوغ لهم مناسباتهم فيما بينهم و بين سائر الأُمم، و تقرب آمالهم بعضهم مع بعض وتوفّق بينها مهما أمكن.

و التعريف الكلاسيكى الغربي لهذا الاحساس هو: أن هذا الوجدان الجماعي انما يوجد من اوضاع اقليمية و عنصرية و لغوية و آداب تاريخية و ثقافية مشتركة. بينما تصل بنا الدقة التحقيقية التنقيبية في الواقعيات و الحقائق الفردية و الاجتماعية البشرية، إلى أن دور هذه العوامل فى تكوين ذلک الوجدان الجماعي ليس دوراً أساساً عقائدياً بتاءً وأنها لا تستطيع أن تصبح ملاکاً لارتباط ابناء الانسان و اتحادهم بعضهم مع بعض تحت عنوان امة واحدة، الى الأبد.

أما الوحدة اللغوية:

هى أنّ اللغة المشتركة هى فى اولى مراحل تكوين الأُمة عامل لتعارف و اقتراب الافراد بعضهم من بعض، و ارتباط القلوب و العواطف، و بالتالى فهى مربيّة للشعور الجماعي فالقومي. و لكنّا اذاراجعنا ماضى الأُمم و قارنّاه بحاضرها لوجدنا أن اللغة المشتركة ليست عنصراً مقوّماً لقومية الأُمة بل فرعاً من قوميتها. اذ لم تكن لغة اية أُمة منذ تكوينها على ماهى عليه الآن، بل انها انما وجدت بوجود الأُمم و اجتماعها بعضها مع بعض و ارتباط قلوبها فى رقعة معينة من الأرض، و انها انما تكاملت واتّسعت قواعدها واصولها فى طى قرون، و انّها باختلاطها بلغات سائر الأُمم تغيرتّ و تحولت حتى بلغت إلى ماهى عليه الآن.

و ان كنا نرى أن اللغة ظهرت فى آدوار معينة من تاريخ أُمة ما، كدور الكفاح التحرّري لها، و انها أصبحت شعاراً للآمال القومية و الوطنية، كما كان ذلك للّغة الهندية فى كفاح التحرّر الهندي، و للغّة العربية فى كفاح التحرّر الجزائري، فان ذلك انما هو ظهور مؤقّت ليس له إلادور الدافع لجماهير الأُمة إلى الكفاح.

و أما الوحدة العنصرية:

فان التحقيقات التاريخية و الدراسات التحليلية فى المجتمعات البشرية اثبتت أن بامكان جميع العناصر والدماء البشرية أن تتمتع بجميع الخصائص الانسانية عند توفّر الشرائط الاجتماعية و الأخلاقية المعينة. كما أن العرب قبل الاسلام كانوا مجموعة نزعات عصبية و حروب قبلية و خرافات جاهلية، و لكنهم بعد ظهور الاسلام فى شبه جزيرتهم و معه التوحيد و الدين و التحف الأخلاقية و العدالة الاجتماعية، و جدوا نفس الخصائص التى لا تؤمّل الامن ارقى الأُمم و اكثرها تمدناً وحضارة و انا نرى أن نفس تلك الخصائص العنصرية العربية السابقة بدأت بعد لأي من الزمن تجد طريقها مرة اخرى الى الظهور على المسرح العربيّ، فان ذلك انما هو بسبب تهاونهم بنفس تلك الشرائط الأخلاقية والنظم الاجتماعية التوحيدية فى الاسلام. و هذا يحكى لنا عن أن الخصائص العنصرية ليس لها أصالة دائمة لا تزول، بل بالامكان أن يتغيّر دورها و أثرها ضمن شرائط اجتماعية و اخلاقية مغايرة لما هى فيه من الاوضاع و الأحوال. و الأُمة الجزائرية اليوم شاهد آخر على مانقول.

و أما امكان صيانة تلك الشرائط والاوضاع الاجتماعية و الأخلاقية، و كيفية تلك الصيانة، فلها بحث خارج عما نحن بصدده الآن. و فضلاً عن هذا نقول: ان عوامل الخصائص

العنصرية و ان كان لها الأثر فى المسيرة التاريخية للأُمة فى رقيها او انحطاطها بل سقوطها و موتها، و لكن هذا ليس مما يبرر أن تصبح الخصائص العنصرية هى الملاك الجامع بين ضمائر أفراد الأُمة.

فان المشاركات الناتجة عن الخصائص العنصرية اما انها تخلق المنافرة بين الافراد او انها تشكل امة ضعيفة لا تدوم، اكثر من أن تكون عامل ارتباط و عنصر تماسك للوجدان الجماعي و اتحاد الأُمة. ان الأُمم التى كانت منذ بدايتها اهل هجوم وغارة وحرب و عداوة يقضون أعمارهم فى الحروب الداخلية او الخارجية، اما أنهم بادوا، اووجدوا فى مسيرتهم التاريخية عوامل رابطة بينهم، من قبيل القواعد الأخلاقية و الاجتماعية اصبحت قواما لجمعهم و وحدتهم: «...و كنتم اعداء فالّف بين قلوبكم». و على العكس من ذلك تلك الأُمم التى كانت أهل سلام و وئام لم يتسالموا فيها بينهم وفى محيطهم و حياتهم الداخلية فحسب، سالموا حتى الخصم المهاجم و تعايشوا معه وتوافقوا واياه، هؤلاء لم يبنوا لأنفسهم عنصراً اوقومية مستقلة، و حتى لوكان لهم ذلك فانه لايكون إلابلون خافت خالٍ من الخصائص و المميزات متجه الى الزوال.

و هذا من خصائص كل فرد من أفراد البشر: أن يكون فى علاقاته المنطقية و العاطفية يسعى خلف من يكمل له نقائصه الوجودية، اي يؤمن له حاجاته الداخلية و الخارجية. و ان أحكم الروابط الغرامية هى التى يرى العاشق جميع حاجاته الأساسية و العميقة فى وجود معشوقه، و هذا ما نشاهده فى حياتنا اليومية. فانّ الروابط الاجتماعية و العلاقات الوجدانية الجماعية انماتؤمّن فيما اذا اصبحت كل وحدة من وحدات المجتمع مؤمّنة و مكمّلةً لحاجات الآخرين. و هذا أيضاً شيىء لادور فيه للمقتضيات والخصائص العنصرية الجبرية.

و أما وحدة التقاليد:

نرى بين الأُمم المختلفة تقاليد قومية مشتركة كثيرة. تقاليد تصبح أحياناً كاللغة و العنصر وسيلة لمعرفة و تمييز القوميات بعضها عن بعض. و لكن ما لهذه التقاليد من الدور و الأثر فى تكوين الأُمم؟ ان التقاليد بل و حتى الثقافات و المعارف العامة انما هى من آثار الحركات الارادية الواعية للانسان السابق، ولو لم تكن هناك علاقات بين الماضى و الحاضر لم تكن هذه التقاليد تنقل من جيل الى جيل، و ما لم تكن هناك أُمة و قومية لها وجدان جماعي لم تكن هذه المعارف والتقاليد تنقل الينا. اذن فالتقاليد القومية الموجودة هى من نتائج القومية، لامن أُسسها و مقوماتها.

اضف إلى ذلك: أن العاملين بالتقاليد الاجتماعية الموجودة فى أُمة ما على نوعين:

نوع قد عبروا عن حدود معالي الأخلاق الشخصية و المجاهدات النفسية، وانماسعيهم الآن لاقامة حكم العدل و البرّ و التقوى و خصال الخير.. و النوع الآخر: هم الذين يستوحون من الجهل وحب الدنيا و الحكومات الاجتماعية الظالمة. و طبيعى أن تكون نتيجة التقاليد من النوع الأول: هى الحياة و الحركة و الرقىّ المتفتح، و ان تكون نتيجة التقاليد من النوع الثانى: التأخر و الانحطاط وأسر الناس بيد ارباب الثروات و الحكومات.

و بما أن بناء الوجود مبنى على العدل والتقى و التكامل و التقدم، فان الاداب الانسانية الحميدة تكون دوافع لانتظام الدوام و حياة الأُمة وقوامها. و ان التقاليد غير الانسانية تكون رصيداً لانحطاط الأُمة و موتها. و يكفى للمثال ان يراجع بهذا الصدد مصير بعض الأمم السابقة: كقوم لوط و عاد و ثمود و مصر و الروم واليونان، و حتى هذه الأُمم الحاضرة.

و أما الوحدة الاقليمية والطبيعية:

فان تكامل الموجودات الحية انما يكون فى تحررها من كثير من أحكام الطبيعة و المحيط الخارجى والغرائز الداخلية . والانسان الأول الذي كان فى منتهى هذا الخط التكاملى كان اكثر الموجودات تحرّراً من أسر الطبيعة، الا أن هذه الحرية لم تكن مطلقة بل بالنسبة إلى ساير الاحياء قبل الانسان، فان الانسان الأول كان لايزال تحت تأثير المحركات الغريزية و الطبيعية، ثم تدرّج شعوره و قواه الارادية فى النمو و الرشد و التكامل، و على مدى هذا التكامل كان يتحرّر اكثر فاكثر من أسر الطبيعة. ان علاقات افراد المجتمع الانسانى الأول

بعضهم ببعض فى اولى مراحله التكاملية كانت منبعثة من غرائزه الداخلية او العوامل الطبيعية و البيئوية، فكانت العناصر الاقليمية و الطبيعية فى تلك المجتمعات الأولية و بعدها الدوافع العاطفية و العائلية و القبلية، هى العامل الاساس فى صياغة الوجدان الجماعي. و لكن كلما دخلت عناصر اخرى الى دور المؤثر على الروابط الوجدانية و الاجتماعية لافراد الانسان فى المجتمع المتكامل و الرشيد، تضاءل ذلك الدور و الأثر للعوامل الطبيعية و منها الاوضاع الاقليمية، و تضاءل.

فنحن نرى اليوم دولاً و اموماً كثيرة فى منطقة معينة و فى شرائط اقليمية و طبيعية مشابهة تماماً، ليست لا تشكل جميعاً قومية واحدة فحسب، بل لها و بينها اختلافات و مضادّات كثيرة، فنجد الأُمة الهندية مع الأُمة المسلمة تعيش فى شبه القارّة الهندية فى اوضاع اقليمية وطبيعية متشابهة تماماً، ولكنهما ليس لهما و بينهما تلك العلاقات الجماعية والاجتماعية التى تحكى عن قومية و امة واحدة أبداً؛ و نشاهد الأُمة الانجليزية و الآيرلندية ليس بينهما ــ بالرغم من السوابق التاريخية و العنصرية و اللغوية ــ ذلك التفاهم و التلاؤم الذي يبنى منهما امة و قومية واحدة. و على العكس من ذلك نجد الكثير من الدول والأُمم من العالم الثالث فى هذه الأيام، لها و بينها علاقات عميقة، بالرغم من آلاف الكيلومترات من الفواصل الأرضية و المفارقات الطبيعية و الاقليمية و حتى اللغوية و العنصرية و التاريخية و غيرها، كالعلاقة بين الجزائر وكوبا وڤيتنام، و فلسطين و...

ان جميع هذه العوامل السابقة التى يذكرها الكتّاب الغربيون بعنوان أنها مبانى القومية، كلها علامات اولى لتعريف الأُمم الموجودة و تمييزها بعضها عن بعض، كما تعرف عناصر الطبيعة الاكثر من مئة عنصر بخواصها الكيمياوية و الفيزياوية؛ لكن هذه الخواص التى تقف عليها فى المشاهدة الاولى و المعرفة السطحية ليست كنه الواقعية المكنونة فى الأشياء، و مع التعمق و التحقيق و بسط النظرو المعرفة يتكشف لنا تحت هذا الاختلاف الظاهر بين العناصر عالم الذرّة الداخلية و مافيها من المكنونات، و يتبيّن لنا أن تعدّد هذه العناصر انما هو مظهر عن الواقع الداخلى لباطن الذّرة و عدد الالكترونات فيها، و أن اختلاف كميتها فى داخل الذرة وحده هو السبب فى ظهور اختلاف هذه العناصر فى الكيفية أيضاً فقط. و هكذا يجب علينا أن نكتشف تحت هذه العوامل و العناصر المعرّفة للأُمة التى سبقت الاشارة اليها آنفاً، عاملاً او عوامل داخلية أساسية تكون هى المؤسسة الواقعية ــ او الأقرب الى الواقع ــ للوجدان الجماعى فى الانسان.

هناك عامل أساسى خفي لهذا الوجدان، هو فى طريقه الآن إلى الحياة و الظهور، و اللغة و التقاليد القومية احياناً ليستا الامظهرين لتجلّى تلك الحقيقة. و نحن نريد الآن من تقصى هذا التحقيق أن نهتدي الطريق من وراء هذه المظاهر الخارجية إلى الواقع المكنون

خلف هذه الأشياء و الظواهر و الحوادث.

و قد وصل فرانتس فانون، الكاتب الافريقي الاخصائي في دراسة المجتمعات البشرية، و الذي بحث كثيراً عن صعيد وعي الاحساس القومي بين الأمم والاقوام الإفريقية بحثاً نفسانياً بديعاً، وصل الى نفس هذه النتيجة؛ وهي: ان دور عوامل التاريخ و اللغة و التقاليد و الاقليم المشترك في ايجاد الاحساس القومي ليس الادوراً موقتاً لادائماً. و للتدليل على هذه يشير إلى تلك الدول التي هي الآن في معترك الكفاح من أجل الاستقلال و التحرّر من الاستعمار، فيقول: نرى في هذه الدول أن الأماني الأساسية و الأصيلة للانسان تفرغ في عوامل كالتقاليد و التاريخ و اللغة المشتركة، و لكننا نرى أن هذه الأمم ما أن تصل إلى هذه الأهداف ــ أي في صبيحة استقلالها ــ حتى تظهر فيها وجوه من المفارقات والمنازعات؛ فنرى اغنياء هذه الأمة الذين لم يزالوا إلى البارحة يضحون بأنفسهم في سبيل هذا الاستقلال تفترق طرقهم عن فقراء الأمة: فيسعى ذاك الغني في سبيل الحصول على مقام أمين و موقع سياسي و اقتصادي و استثماري على حساب تلك الأتعاب و ذلك الحرمان الذي أصابه أيام الكفاح، و الفقراء يتجهون إلى طريق المقاومة و الكفاح في سبيل الحصول على حقوقهم، و بالتالي يكون بينهما الفراق والانفكاك والاصطكاك والكفاح من جديد. و هكذا تنقسم نفس هذه الأمة الى «طبقتين» لهما آمال متضادّة، بينما تشترك أفراد هذه الطبقات في وحدة اللغة و التقاليد و الثقافة و التاريخ. ولنا شواهد كثيرة من الكفاح الطبقي والديني في الأمم الموجودة، كلها تحكي عن عدم الأصالة الدائمة لعوامل اللغة و التاريخ و التقاليد و الثقافات.

ان الاستقلال السياسي الذي قد تحقق اليوم و كان محطّ الآمال القومية المشتركة و الوجدان الجماعي، لاضياء له ولا معنى، وعلى الأقل لدول العالم الثالث مع حضور المستعمرين بينهم. فان الجهاز السياسي و حتى الجهاز الحاكم في مجتمعات كثير من الدول جديدة الاستقلال بل و حتى قديمة الاستقلال، ليس الا ممثّلاً للأجانب، و ليس القائمون عليه الامحافظين على مصالحهم و منافعهم، الا أنهم مجهزون بسلاح الاستقلال و الحكم الوطني، بينماهم من أهل ذلك البلد و مشتركون مع أهله في اللغة و السوابق التاريخية.

وقد فقد الاستقلال السياسي و الحدود الجغرافية مفهومها الاولى، و اصبحا بصورة التحزّبات و الاحلاف الاقليمية، و هذا يدلّل على أن هذه الدول وجدت أنَّ اختلافاتها اللغوية والتقليدية و الثقافية و العنصرية السابقة ضئيلة غير أصيلة أمام مصالحها المستجدّة، و لذلك فهم طرحواهذه الاختلافات جانباً و اتحدوا في سبيل مصالحهم و منافعهم، و قد تحقّق اتحادهم هذا على الصعيد الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي بصورة أجلى و اوضح، فقد أصبح الغرب اليوم باقتصاده و ثقافته متحداً كقطعة واحدة أمام العالم الثالث، و لذلك فهو قد طرح الألوان و المفارقات القومية جانباً، و على الأقل في سبيل منافعه الاقتصادية المشتركة و الاقليمية.

أما فى دول العالم الثالث (النامية او غيرالنامية) فمنابعهم الاقتصادية من ناحيةليست إلا فى سلطة القدرات الاقتصادية للدول الكبرى؛ و قيادتهم الفكر ية و الثقافية ليست الا تحت تأثير المثقفين الذين يتعقبون الثقافة الغر بية المسيطرة.

دور المثقفين:

من الطبيعى فى المجتمعات المستعمرة المتخلفة أن يكون المثقفون هم الذين يريدون اويحاولون احياء هذا الوجدان الجماعي فى مواطنيهم. و حيث أن اللغة و التقاليد و الثقافة القومية عند هؤلاء المثقفين لا تعني ماينا هض الواقع المُعاش للأُمة، الذي هو خليط من الشقاء و التخلف و الحرمان، فهم يعرضون عن الدعاية إلى هذه التقاليد و مايضارعها، و يتجهون إلى مقاييس الدول المتقدمة و الحاكمة على العالم، فيحاولون أن يجعلوا منها مثلاً لتكو ين الاحساس القومي فى أُممهم.

فنرى أن فرانتس فانون، العالم النفسى والاجتماعي الواعي، الافر يقي، الذي يقول عن ظهور هذا الاحساس القومي التقليدي فى مثقفى المجتمعات المستعمرة (بالفتح) فى فصل «فى شأن الثقافة القومية» من أثره الهام و الخالد «الملعونون فى الأرض» ــ يقول ــ: انها مرحلة بدائية غيرناضجة لتبلوار الوجدان القومي فى هذه الطبقة من المفكر ين، هذا يرى أن المثقف فى المجتمعات المستعمرة (بالفتح) فى هذه المرحلة مع ماله من السعي فى نشر الوعي القومي انما هو ذائب فى الثقافة الاستعمار ية، و أن مايكتبه المثقف فى هذه المرحلة يتفق تماماً مع ما يكتبه أقرانه المثقفون فى نفس الدولة المستعمرة[٣] (بالكسر) و بعبارة اخرى، يقول: ان المثقف فى المجتمعات المستعمرة (بالفتح) فى هذه المرحلة الفكر ية، و ان كان هو من المفكر ين، و لكنه ليس سوى بضاعة مستوردة جاؤوابها مماوراء الحدود، بل من نفس الدول المسيطرة الغر بية بالذات فهو فى هذه المرحلة انما يفكر مترجماً و يعمل مترجماً أيضاً!.

و ان ما لهؤلاء المثقفين فى هذه البلدان المتخلفة من الاعتماد على معلوماتهم و محفوظاتهم، و الغرور الذي يصيبهم بامتيازهم عن سائر الناس فى جهلهم و تخلّفهم، يمنع عن النقد الدقيق و تحليل الحوادث و الواقعيات. و يجب أن تمر أعوام و قرون من الحوادث المؤلمة حتى يستيقظ هؤلاء المثقفون من نومهم «نومة الارنبة الغافلة» و حتى تتضح للناس حقيقتهم و

---

٣ ــ يراجع بهذا الشأن آثار جماعة من هؤلاء المثقفين الفارسيين من أمثال: ميرزا صالح، و فتحعلى اخوندزاده، و فر يدون آدميت... و ما كتب عن النهضة الدستور ية فى ايران و تركيا الحديثة.

مدى قيمة آرائهم.

و فضلاً عن هذا، فان هؤلاء المثقفين انما يجعلون احياء الوجدان القومي محطّ همهم فى تلك المراحل الاولى لحركاتهم الفكرية و العملية. و سرعان ماينحتون لأنفسهم ــ بمقتضى روحياتهم و أفكارهم ــ أهدافاً ثانوية من الحياة الغربية و حضارتها، بحيث تصل بهم بسرعة الى تلك الحياة المرفهة الاوروبية. و هذا الاتجاه بنفسه يستلزم السكوت بل مهادنة عوامل الظلم و الفساد فى كل زمان، و يسبب التحلّل والذوبان فى الجهاز الاستعماري، و يوجب عليهم الخدمة له أيضاً!.

و المرحلة الثانية فى تحليلات «فانون» تبدأ حينما يصمّم مثقّف المجتمع المتخلف أن يفكر فى امته بتصميم و ارادة أقوى و آكد، و لكنه حينما يرى امته و ماهى عليه الآن و انها تعيش الشقاء و القلق و الجهل و التخلّف، يتجّه الى أيام من التاريخ كى يجد فيها لأُمتّه الجلال و المجد و العظمة، او السمعة و الشهرة و الظهور على الأقل. و لهذا فهو يترك مجتمعه اليوم بمافيه من جوانب تجذب النظر، ليطير من فوق قمم القرون التى قد خلقت سلسلة من العلل التى انتهت الى ماتعيش امته الآن عليه، الى آلاف من السنين من قبل، و حتى أنه لولم يجد فى تاريخ امته مثل هذه الأيام فانه سوف يتجه لذلك الى اساطير الاوّلين[٤].

و ان قيمة هذه الفكرة و هذا العمل لهؤلاء المثقفين ليس الا أن تبقى هذه الافكار فى بطون الكتب، أو ان يبقى عدد من الناس الى مدة من الزمان فى فرح و غرور، و حيث أن هذه الفكرة لا تنبع من الأدواء الموجودة لخلق الله، فهى لن تستطيع أن تبعث الوجدان الجماعى للناس عامة.

و المرحلة الثالثة: هى حينما يترك المثقف أوهامه، و يعيش آلام مجتمعه، و يتذوّق طعم الحرمان والضغط الذي يصيب امته، فيتصالح معهم و يستهدف مايستهدفون، و يحترم عقائدهم و عواطفهم و يتعرف عليها فيستوحى منها دروسه. و هكذا ــ فحسب ــ يجد المثقف دوره البنّاء و المتقدم فى بناء و احياء الوجدان و الشعور القومي، شريطة أن يكون صادقاً فى عمله هذا غير مقلد فيه و لامعقّب لأساتذته الغربيّين. و كلما كان فى عمله هذا مصمّما مضحّياً فدائياً كان أثر فكره و نتاج عمله أوسع و أسرع.

---

٤ ــ يراجع بهذا الصدد آثار جماعة اخرى من المثقفين الفارسيين من قبيل: پروين دختر ساسان، از اين اوستا، دو قرن سكوت، ماه نخشب، مجموعهٔ ايران باستان، مجموعة ايران كوده.

الحدود الحقيقية:

و الآن، و بعد أن فقدت العوامل التى كانت حسب التعريف الكلاسيكى الغربي مؤثرة فى بناء الوجدان الجماعي و اتحاد الأُمة او العناصر لمؤسسه للاحساسا القومي، أصالتها، فهل يمكننا أن ندعى عدم وجود اي تميز بين وحدات المجتمع البشري، و أن بامكان جميع الأُمم أن تتخلّى عن قومياتها المتفرقة فتبنى امة واحدة؟

ــ ان التجربة التاريخية والشواهدالمكتسبة من المناضلات و التقلبات الاجتماعية، تدلنا على وجود الشعوب و القبائل و الآصناف بكل حال، أصنافاً متمايزة و لها طرق مختلفة فى الحياة بحيث لايمكن ادغامها بعضها فى بعض او اضمحلالها. و ان التحولات و التقلبات الاجتماعية و السياسية و الثقافية فى عالمنا المعاصر، تبعد روح التفاهم و الوحدة بين العالم الثالث و العالم الغربى يوماً فيوماً بل تجعله من غير الممكن أيضاً، فانهم وان كانوا يحكون دائماً عن التعايش السلمي و السلام و الاتحاد العالمي لكنّ عملهم، او واقع التحولات والتقلبات تبعد ذلک و تجعله من غير الممكن. و اذا شكل جماعة من البشر مجتمعاً مجهّزاً بأجهزة ادارية، باي عنوان اجتماعى كان ذلک المجتمع و على أى أساس كان، فلابدّ أن يحفظ هذا المجتمع حدوده الجغرافية و السياسية و الاقتصادية، أو الثقافية و الفكرية و العقائدية، فيما اذا كان معرضاً للخطر اومطمحاً للنظر.

و لكن ليس البحث هنا فى الوظيفة الفعلية للأُمم الآن، بل ان الهدف هو: الكشف عن العوامل و العناصر التى تبنى الوجدان الجماعي للأُمم، و التى تؤسس علاقات و روابط و عواطف بين امة من الناس لكى تبنى قوميّتها.

و قد رأينا: أن العوامل المتعارف عليها الآن: من اللسان و الثقافة و السوابق التاريخية و العنصرية و ان كانت مؤثرة فى مبادئ تكوين الأمة، و لكن ليس لها الدور الأساس و الدائم، و لهذا فنحن نقول أن لا أصالة لدور هذه العوامل، و أنها ليست جواهر بل هى اعراض. اذ أن الأُمة التى كانت تكافح حيناً فى سبيل استقلالها و شرفها، تنقسم بعد وصولها الى اهدافها هذه حسب توقعاتها و الدواعي التى تضمرها والمنافع و المطامع التى تستهدفها، الى جماعات حاكمة و محكومة و منتفعة و محرومة، و ينقلب الكفاح القومي إلى كفاح طبقى داخلي، يشتمل على مفارقات و شقاق ينشأ بين افراد امة واحدة ذوي ثقافة و لغة و عنصر واحد، و الذين كان الوجدان الجماعي المزعوم قد تولد و توطد فيهم: بتلک العوامل، الا أنهم حينا تبدّلت الروابط و العلاقات بينهم يموت ذلک الوجدان الجماعي و يذوب. اذن: فما هو العنصر الأساس لتكوين وحدة قومية او امة واحدة: و توجد بين قلوب افرادها روابط و

علاقات و عواطف، و آمال و آمانی مشترکة؟

نحن نرى انه حينما بدأ الجزائريون كفاحهم التحرري ضد الاستعمار الفرنسي، اوحينما بدأ الفلسطينيون كفاحهم الانساني لتحقيق حقوقهم، اوحينما بدأ الفيتناميون ثورتهم العارمة ضدّامريكا كانت عناصر القومية من اللغة المشتركة و التاريخ المشترک و الوحدة الاقليمية و الاقتصادية، مؤثرة فی تقارب قلوبهم و تفاهم افرادهم، و فی نفس الوقت نرى أنه كان هناک فی اقصی نقاط العالم اناس تهتزقلوبهم لانتصار هؤلاء كما هو حال احدهم. فهناک نوع من العلاقة القلبية و وحدة الآمال يربط بين قلوب هؤلاء، وحدة قد تدفع ببعضهم الى أن ينسى أهله و أولاده و محيطه و بيئته، و يطوي آلاف الكيلومترات لكی يتصل بجمعهم و يستشهد معهم! فی حين ليست بينهم لغة مشتركة و لا ثقافة ولاحضارة ولاسابقة تاريخية واحدة. وانتم اذا لاحظتم تاريخ هذه النهضات ربّما وجدتم فيها اشخاصاً «أجانب» من سائر الأُمم و القوميات قد ابدوا البطولات بينهم، من أجل أن يبقوا فيهم بعد انتصارهم و يبنوا معهم أُمة من جديد.

و من ناحيةاخرى نجد فی داخل دولة واحدة جماعات مختلفة كلها من عنصر و سلف واحد، و لهم لغة و تقاليد و ثقافة و شرائط جغرافية واحدة، لكنهم ليست بينهم اية علاقة و رابطة أبداً، ولا تتوافق آمالهم السامية و لا أهدافهم لمستقبلهم، بل هی متناقضة أحياناً، و اذا كانت بينهم روابط و علاقات فانّما هی ميكانيكية و ظاهرية و فی حدود حاجات الحياة اليومية. و ما اكثر الحروب التی نشبت بين الدول و الهيئات الحاكمة فی كثير من الدول لم يكن يطلع عليها عموم الناس و لم يكونوا يهتمّون لها. و فی تاريخ دولتنا هذه ايضاً نشاهد كثيراً من الشواهد و النماذج لعدم اهتمام الناس بما يدور فی فلک السياسيّين من حولهم.

و كثيراً ما يتفق أن يبدی الهندي اوالأفريقی الاهتمام لانتصار الشعوب الفلسطينية اوالجزائرية او الفيتنامية... اذن: فهذه الحدود التاريخية و الجغرافية و السياسية و اللونية و اللغوية، لايمكن أن تكون حدوداً واقعية بين افراد بنی آدم، و لا أن تكون أساس العلاقات بينهم.

الآلام المشتركة:

فما هو الجامع المشترک بين هؤلاء الذين يجدون بينهم روابط قلبية و آمالاً و أهدافاً تربط بينهم و هم من اطراف العالم و أكنافه، فی حين انها تفصل بينهم و بين مواطنيهم و مجاوريهم فی بلدانهم؟

ــ ان هذا العامل: هو الآلام المشتركة التی هم يشتركون فيها: ألم الظلم و

الاستعمار.

و قد كان ميلاد القومية و الوطنية مصادفاً فى زمانه مع العهد الذي أحسّ فيه الناس بألم اوخلأ عام و مشترک بينهم، فالقومية الألمانية انما ظهرت إلى الوجود حينما أحسّ الألمانيون بالألم من جرّاء تدخل الفرنسيين فيهم بالتميز و الطبقية، و ان القومية الايطالية او المجر ية او الهندية او الهند الصينية او الجزائر ية انما وجدت حينما شمل الاحساس بالألم والخلأ كلهم اوجلّهم.

و يقول المحققون الغربيون فى تار يخ ايران: الحقيقة أن الوطنية الايرانية او قل الاحساس الجماعى القومي الايرانى انما ولد حينما بدأت نهضة تحريم التتن والتبغ، اي منذ ذلک العهد أحسّ جماعة من الايرانيين بألم الاستعمار والمستعمر ين.

اذن: فالوجدان الجماعي والاحساس القومي والوطني بين جماعة من الناس، انما يولد حينما توجد بينهم آلام و آمال مشتركة، و هذه الآمال المشتركة هى التى بَنى لهم اهدافهم الجماهير ية، و حِينذاک يتحركون فيكافحون ويناضلون و يجاهدون، و يتحملون لذلک الألم و الحرمان، و ذلک الألم و الأمل هما اللذان يمدان وجدانهم الجماعي بالقوام و الدوام الاكثر فالاكثر، و يوجدان بينهم علاقات و روابط قلبية و وحدة قومية.

عوامل الوحدة :

و حينما نلاحظ جميع الآلام التى اوجدت الى الآن الأُمم و القوميات و نقارن بعضها ببعض، نجد بينها عاملاً مشتركاً، هوانه: حينما اعلن الفيلسوف فيخته القومية الألمانية بشدة و حرارة متزايدة اوبدأ غاندي أوغار يبالدي كفاحهما فى سبيل استقلال الهند أوايطاليا، اوبدأ الفيتناميون او الفلسطينيون محاولة التحرر و الاستقلال لعلاج آلامهم و بلوغ آمالهم، و حينما تبدأ جماعة من أُمة محاولة القيام و الثورة، نجد أن هناک عنصر ين مشتركين بينهم جميعاً، و هو: الاحساس بألم الظلم و سيطرة الانسان على أخيه الانسان، ثم محاولة رفع هذه السيطرة. فان فيخته كان ير يد باعلانه القومية الألمانية تحر ير الأُمة الألمانية من نفوذ و سيطرة الفرنسيين السياسية و الثقافية، و غاندي كان ير يد تحر ير الهند من السيطرة السياسية و الثقافية و الاقتصادية الانجليزية، و الجزائر يون كانوا ير يدون تحر ير الجزائر من تجاوز الفرنسيين أيضاً، و هكذا...

اذن: فالعامل المشترک فى جميع الآلام و الآمال والقومية التى اوجدت امم العالم هو نفس هذا الاحساس، و ارادة رفع الظلم و طلب العدل.

ولماذا لايوجد الاحساس القومي و الوطنى الا فى عهد الحرمان و ذوق الظلم والعدوان

و الاستعمار و الاستثمار؟ لأنّ الانسان انما يكتشف نفسه و فطرته و حقيقته و يتبصر بقيمته و فضائله الانسانية فى عهد الحرمان و فقدان رحم و عواطف الانسان لاخيه الانسان، و حينما يسعى جاهداً من أجل التحرر من تلك الاوضاع و الأحوال و الشرائط غير المطلوبة. فان الانسان حينما وقع تحت نير الظلم والجور و الفسق والفجور و الكفر والجريمة و تحمل منها الأمّرين، ظهرت فيه أشواق الى الحق و العدل، و هذه الأشواق هى التى تجمع الآحاد و تمنحهم الوحدة و الوداد، فان الانسان بطبعه يعشق الحق و العدل و التقى فى اعماق ضميره، و يظهر هذا الحب فى كل زمان و مكان بشكل من الأشكال و لون من الألوان.

و على هذا فنحن نرى: أن عامل الحرمان من التمتع بحق الحكم، و الوقوع تحت نير المحكومية للآخرين، هو الذي يحدد الحدود الواقعية بينهم و يعين اماكن صفوفهم فى المجتمع البشري.

و المحقق الغربى تيبورمند[٥] أيضاً يقسّم امم العالم اليوم الى معسكري: المحرومين، والمتمتّعين، اوقل: الدول الصناعية، والدول المتخلفة، و هذا التقسيم ــ و ان كان يطابق الواقع الخارجي اليوم للعالم البشري ــ ليس تقسيماً واقعياً تاماً؛ اذلو قررنا أن نقسّم بنى آدم اليوم الى امّتين: حاكمة و محكومة، فهل أن جميع المحرومين يكونون على مستوى واحد؟

يقول فرانتس فانون بهذا الصدد:

«...ان تمجيد السود فى آدابهم العاطفية ــ ان لم يكن منطقياً و معقولاً ــ فهو شتائم نثرها البيض على الانسانية! فانّ تمجيد السود الذي يمثل ثورة طاغية ضد تحقير البيض لهم، يصبح أحياناً من أحسن الوسائل و السبل الى ردّ الشتائم و المحروميات، اذ رأى المثقفون الكينيون أنهم مواجهون ــ قبل كل شيىء ــ بالطرد التام والتحقير الكامل من قبل القدرة المسيطرة عليهم، فيصبح رد فعلهم أمام هذاالطرد والحرمان أن يمدحوا بأنفسهم و يمجّدوها و يكيلوالها الثناء العاطر و التحسين، و حينئذٍ يتبدّل تصديقهم المطلق للثقافة الاوروبيّة الى تصديق مطلق للثقافة الافريقية. و حينذاك يتبدّل السود ــ بصورة عامة ــ المعسكر المتعب الشيخ العجوز بافريقيا الفتيّة! و ذلك العقل و العلم الظالم بالشعر الحرّ، والمنطق الظالم بالطبيعة المنطلقة، فان ذلك العقل و العلم و المنطق لاينطوي إلاعلى الديبلوماسية ثم الظلم و عدم المسؤولية والتشكيك فى كل شيىء، والطبيعة والشعرلاغل فيه ولاغش ولا شيىء سوى الوحدة و الحرية. و ما هى جدوى ارض مثمرة لكنها تتنعّم بعدم المسؤولية أيضاً؟»[٦]

---

٥ ــ عن الترجمة الفارسية لكتابه: جهانى ميان ترس و اميد: عالم بين الخوف و الرجاء.

Frantz Fanon: Les damnees de la terre: deculture nationle.

انّ عدم المسؤولية الذى يلتفت اليه فانون فى كلمته هذه انما هو ناتج عن أنّ الألم و الأمل المشترک الموجود فى المجتمع الافريقى ضعيف بعد فى بعض الحقول من ناحية الدوافع و الدواعي والأهداف. ان حركة القارة السوداء ضد الاستعمار و الظلم و التميز الطبقى، من أجل احقاق الحق الانسانى لهم، حركة مقدسة تطابق الواقع الفطري و الضمير البشري، و لكنها حينما تتصور بصورة تمجيد النفس والانتقام من الغير و الأمل فى الحكم و المتعة بها، تصبح مقدمة و أساساً لظلم جديد، ظلم لم يجد لنفسه بعد مجالاً للعمل.

اذن فللدواعي والدوافع دور فى حرمان الأُمم و محكوميتها. فمتى ما تكاملت فكرة تمجيد السود و توصّلت الى تمجيد الحق و العدل، كان نتاجها نهضة مثمرة. و لهذا فنحن نقيس الحركات التحررية المنبعثة عن الألم والأمل المشترک بدواعيها ودوافعها؛ فهل هى منبعثة عن المطالبة بالحقوق و العدل و التحرر أوعن المطالبة بالحكم و التمتع بها و الاستئثار بما فعها و مطامعها. و هذا شىء ينتج عن مسلک الحاكم و مذهبه و فكرته و نظرته إلى العالم و هو يقود حركة الأُمة.

ان الثقافة الغربية تخرج هذه العوامل الآنفة الذكر عن دائرة العناصر البنّاءة للوجدان الجماعي المشترک و المؤسسة لقومية الأمة. والمثقف الشرق و المسلم و الافريقي يريد أن يصبغ قومية امته بنفس تلک المقاييس الغربية و أن يعرفها إلى الرأى العام بتلک الصبغة و هذا يعنى أنه يريد أن يبنى قومية امته و يدافع عنها بنفس تلک الأسلحة التى باعها له عدّوه: والويل ثم الويل من هذه الاسلحة التى نشريها نحن من العدو!.

و كما وجدنا فى الحركات القومية و النهضات الطبيعية عالم الألم و الأمل المشترک والثورة ضد سيطرة الاجنبى، نشاهد فيها عنصراً آخر: هو الاشتياق إلى الحق و التحرر الفكري و ان هذين العاملين هما معاً خيرمقياس لمشروعية النهضة و استحقاقها، فالقومية الألمانية بما كان لها من دواع عنصرية و تفوقية، لم يكن فيها لسائر الناس فى الأرض شيء من النور و الضياء، بل الحرب و الفناء و الصهيونية التى كانت تتراءى أنها بدئت لانقاذ اليهود من التشرد والضياع بين الأُمم، تبدت اليوم فى ايديولوجية معتدية وعنصرية ظالمة؛ فهذه الحركة ـ مع مافيها من الألم و الأمل المشترک بين اليهود وبمالها من دواعي الانتفاع من المحرومين فى العالم لصالح اثنى عشر مليوناً من الصهاينة، قد اصبحت موضع استنكار جميع الأحرار فى العالم. و ان نهضة المقاومة القومية الفرنسية ـ مع ما كان لها من البطولات التكتيكية ـ بما أنها كانت نابعة عن روح القومية الفرنسية، فانها صححت استعمار الأُمة الجزائرية وسحق نهضتها التحريرية، ولم يكن من نصيب هذه النهضة الفرنسية أن تؤسّس مدرسة للحركات التحررية. اما تلک الحركة التى كانت تحتوى على عوامل طلب العدل و الحق اكثر و اظهر، أصبحت حركة عالمية و أساساً لحضارة عظيمة و مدارس فكرية انسانية.

والحاصل: انا نلاحظ للتمييز بين الوحدات الاجتماعية والانسانية و تعيين واقع القوميات وحدودها: جميع آلامهم و حرمانهم البالغ الى مستوى الشعور بالمسؤولية، والهدف الحاصل منه والدواعى والدوافع لهم و هذه الأُمور هى التى تصبح منبع الحياة و الحركة لجماعة من الناس.

و من البديهي أن هذه العوامل الأساسية و الجوهر ية اذا انتشرت بين امة فاوجدت فيهم وجداناً جماعياً واحساساً مشتركاً، فيهم الأساس الصحيح لقوميتهم؛ و هذا الأساس بحاجة الى مهبط يحتله وقالب يحتل فيه، وهوبدوره الذى يبنى تلك الثغوروالحدود المادية والطبيعية و المقرّرة. و ان صيانة تلك العوامل الأساسية و الجوهر ية تستلزم المحافظة على ذلك القالب و المهبط عن تدخل الأجنبى و نفوذه فيه، ذلك الاجنبى الذي يختلف مع تلك الأُمة فى جوهرها و لايعرف آلامها و لادواعيها ولادوافعها، اوهو عدوّها.

أُمة فى طريقها اِلى الحياة:

كنا ننشد عن العوامل الأساسية للوجدان الجماعي المشترك، و بلغنا فى محاولتنا هذه اِلى الألم و الأمل المشترك أمام سيطرة الانسان على أخيه الانسان واستثماره، و رأينا أن هذا الجامع المشترك انما يصبح جامعاً مقاوماً فيما اذا أصبح التقوى و طلب الحق و العدل (و كما يقول الكتّاب الغربيون: الدواعى الانسانية المتعالية) أساسه و رأسماله. فان هذا الأساس و الرأسمال جوهرة كالحياة، حيّة محيية و مطوّرة، و هى مادّة اذا حقن بها مجتمع من الناس بعثته الى الحركة و التكامل الجماعى و الثقافى والتقليدي. و الحركة و الثقافة و التقاليد هى مظاهر استقلال الأُمة.

و انت ترى اليوم امماً لها لغات و تقاليد و عناصر من الدماء مختلفة، و تعيش فى اوضاع اقليمية و جغرافية متفاوتة، و تشكل بمجموعها منطقة وسيعة نسبياً من هذا العالم، و تصور وحدات سياسية مع دول متعددة، و هى بعيدة و مستقلة بعضها عن بعض. هي الدول الاسلامية فى هذا العالم المعاصر.

فالمقاييس الكلاسيكية والغربية تفصل قوميات هذه الدول بعضها عن بعض، و تجعل بعضها بالنسبة الى البعض الآخر أجنبياً كما أن الدول والأُمم الأُخرى أجنبية عنها تماماً. و قد اصبح من الواجب على كل واحدة منها أن تكون منفصلة و أجنَبيّةً عن الأُخر يات، و لهذا الانفصال والاجتناب تبعات هى بمرآنا و مسمعنا!.

و نشاهد بالرغم من هذا الاختلاف الظاهر عناصر من الوحدة بين هذه الجماعات، فنحن نجد بين هؤلاء الناس، المختلفين عاملا مشتركاً هو أبرز مايكون من سمات هذه

المجتمعات، ألا و هوالدين الاسلامي الحنيف، والاسلام عالم مليء بثقافات و معارف و آداب خاصة منسجمة معه تماماً.

فلنُرَ ماهي مباني الوجدان الجماعي الوحداني و المشترک بينهم کيف يمکن أن يکون فيما لوکانت قلوب افراد هذه الأُمم تتمسک بهذا الدين عقيدة و شريعة و حکماً و نظاماً؟ اعني: ان نرى ما للذي يعلمهم هذا الدين و يلقنهم، بصفته مسلکاً خاصاً في الحياة له نظرته الخاصة الى الکون و الانسان؟ ثم نرى: ماهي الأدواء المشترکة بين هؤلاء مع تمسکهم بالاسلام.

* * *

يعلم الذين نظروا في تاريخ الحرکات التحرّرية: أن أساس تحرّر الأُمم والشعوب مبنيّ على تحرّر واقعي لفرد او جماعة ــ ولو قليلة ــ عن قيود ارباب الدنيا، و توصلهم الى درجة التحرّر الکامل من هذه العلاقات، ثم تنبيه هؤلاء لأُممهم: أن الأُمم هي التي تريد أن تبقى سلطة ارباب الدنيا على رؤوسها فيظل حکمهم قائماً، بينماهم اذا أرادوا أن يذوب أرباب القوة و الثروة ذابوا کما تذوب الثلوج في المياه الحارّة.

ان أساس تحرّر الانسان مبني على ايمانه بحقه و انه مظلوم و مغصوب عليه، هذا من ناحية، و من ناحية اخرى ايمانه ببطلان جهاز هؤلاء الأرباب و ضعفهم و تزلزلهم. و اي دين ومدرسة تعلم ابناءها و اتباعها مباني واصول هذا التحرر اوضح و أصرح من الاسلام؟ اذ أن الاسلام والتوحيد لايعني سوى التحرير و الانطلاق، و کسر القيود و فتح الطرق و السبل أمام التکامل الى ساحة القدس الربوبية.

ان الاسلام يقول لابنائه: ان هذا الاختلاف الذى ترونه بين امم الارض في الألوان و العناصر و الدماء و اللغات، والذي خلق منه الانسان مقاييس للتفرقة و الانفصال و الاستقلال، ليس شيئاً جوهرياً و أصيلاً، وليس اى منهم اعزوأ شرف الا من سلک سبيل التکامل في الانسانية بسلوک سبيل الله والاسلام، و أن ما تشاهدونه بين ابناء البشر من الألوان و الألسن و التقاليد ليست سوى صور لحقيقة واحدة هي کثرة أفراد هذا الموجود الانساني، تماماً کما تراه بعينک من الاختلاف في صور الطبيعة و الجمال، فلکل و رد رائحة و لون و فوائد خاصة، و لجميعها التقدير والتثمين في سبيل تکامل الانسان و ليس لهذه الاختلافات دور في فصل الناس بعضهم عن بعض و عداء بعضهم لبعض، بل لهادور (التعارف) بينهم مما يؤثر في حصول التکامل المادى و المعنوي بينهم: «يا ايها الناس انا خلقناکم من ذکروانثى، و جعلناکم شعوباً و قبائل لتعارفوا، انّ اکرمکم عندالله اتقاکم»:[٧]

---

٧ ــ الحجرات: ١٨.

اذن: فسبيلكم انتم الذين تشتركون في الايمان بهذا الدين الحنيف، من اي عنصر اودم اواقليم اولغة كنتم: هو أن تحافظوا على دينكم (دين الله) بكل ما تملكون من حول و قوة، و أن لا تتفرقوا في هذا السبيل، و أن تتذكروا أنكم كنتم ــ من دون هذا الدين ــ اعداءً و انكم انما توحدتم بجوهرة التوحيد الاسلامي، و أن ثمار هذه الوحدة كانت عالماً من العلوم و المعارف والفضائل و الأخلاق، اتحف به المجتمع البشرى: «و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، و اذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم، فاصبحتم بنعمته اخواناً، و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»[٨].

و انكم ان أصبحتم حماة الخير دعاة اليه، اعداء الفساد والظلم و الجور، كنتم بذلك خير أُمم العالم:

«كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تجاهدون في سبيل الله...»[٩].

و انه ليس نتاج حياتكم الاجتماعية المادية شيئاً سوى بغي بعضكم على بعض: «يا ايها الناس: انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا...»[١٠] و هي ــ من ناحية اخرى ــ رأسمال للتكامل الفردي والاجتماعي لكم:

«انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام...»[١١].

اذن: فما دامت هذه الحياة الدنيا خليطة من الظلم و الكمال، فالسبيل الى أن لايجد الظلم فرصة للانتشار، هو: أن تنعموا بالايمان الكامل بحكومة الحق والعدل، و ان تضحوا في سبيلها بالنفس و النفيس، كفاحاً ضدّ حكومة المال و الثروة و حب الذات:

«يا أيها الذين آمنوا! هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم؟: تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون»[١٢].

و على هذا، فيكون بناء امتكم و للعامل الأساس في الوجدان الجماعي المشترك لكم، هو: الايمان بالله (و هو الدافع لكم) و جهادكم في سبيله (و هو الألم المشترك الذي يكون قد بلغ الى مرحلة الأثر العملي و هو القيام والفداء بالنفس):

---

٨ ــ آل عمران: ١٠٣.

٩ ــ آل عمران: ١١٠.

١٠ ــ يونس: ٢٣.

١١ ــ يونس: ٢٤.

١٢ ــ الصف: ١٠ و ١١.

«و الذين آمنوا من بعد و هاجروا و جاهدوا معكم فاولئک منكم...»[١٣]

راجعوا و انظروا فى تاريخ الأُمم السالفة و المعاصرة، ترونهم مهما كانوا و مهما أصبحوا، ليسوا سوى حصائد اعمالهم و مكتسباتهم الفردية والاجتماعية، فانتم ايضاً لم و لن تشذّوا عن هذا الناموس الكونيّ العام و الشامل:

«تلک أُمة قد خلت، لها ماكسبت، و لكم ماكسبتم»[١٤].

«و ان ليس للانسان الا ما سعى»[١٥].

و الحاصل: أن مصيركم رهن بعملكم و سعيكم الذي تقومون به من أجل التكامل و التقرب الى ربّكم، الذي هو خالق البرّ والجمال و المظهر الأتم بالحق و الكمال:

«يا أيها الانسان انک كادح الى ربک كدحاً، فملاقيه»[١٦].

ان الأُمم المسلمة المختلفة المنفصلة هكذا بعضها عن بعض، تتلقى من زاوية النظرة الكونية و الانسانية و الدوافع: هكذا تعاليم و تلقينات قيمة؛ و هذا مايبنى لهم ثقافتهم المشتركة». و قد خلقت هذه الثقافة الاسلامية و التوحيدية شهداء و أبطالاً و عمالقة، و ابقت لهم ملحمات و خواطر تاريخية هامة، تشكل بمجموعها دوراً هاماً فى حياكة نسيج وجدانهم الجماعى الاسلامى المشترک.

و قد بلغت هذه الأُصول و الدوافع التوحيدية والاسلامية الى الناس فى القرون الهجرية الاولى بصراحة و وضوح بحيث تقبّلها كثير من ابناء تلک الحضارات المتمدنة آنذاک بكل وجدانهم و ضمائرهم و من أعماق ارواحهم، وسرعان ما تشكلت منهم امة عالمية دولية اسلامية. و لكنها سرعان ما بدلت تلک الوحدة بالتفرقة. و ذلک لان الآخذين بأزمة الأُمور آنذاک لم يدركوا اولم يريدوا أن يدركوا المفاهيم الواقعية والحقيقية للدوافع الإسلامية، فصنعوا من تلک الوحدة الاسلامية خلافة اوقل امبراطورية عظمى عربية اموية اومروانية اوعباسية! و كان هذا هوالخلاف الصريح للاصول الاسلامية. و لهذا انكسرت و انثلمت تلک الوحدة الحاصلة بالاسلام، و تبعتها تقلبات و تحولات وانحرافات اخرى فضعف فى الوحدة شديد، حتى اخذت السنة و الكرى عيون عامة المسلمين عمّالهم و عليهم.

و فى حين شمول هذا السبات للأُمة المسلمة، تيقّظ الغربيّون المسيحيون، إلى الاستفادة الكبرى من الآداب الاجتماعية و الثقافية و العلمية الاسلامية، فبنوا بها حضارتهم هذه الغربية المسيحية، التى كانت تستثمر ــ بالاضافة الى الافادات العلمية من الآداب

---

١٣ ــ الانفال: ٧٥.

١٤ ــ البقرة: ١٢٨.

١٥ ــ النجم.

١٦ ــ الانشقاق: ٦.

الإسلامية ــ من عناصر حبّ الدنيا و المال و الثروة والحكم و القوة و ان كان لايحصل ذلک الا بالظلم القاهر! و أصبح العالم الاسلامى مورد الهجوم لهم فى سبيل استعماره و استثماره. و بدأ الغرب بالاستيلاء على الوجود الثقافى و الأخلاقى و الدينى للمسلمين، ثم ثنّى بالنهب فى منافعهم المادية و الاقتصادية. و كان من جرّاء ذلک النوم العميق ــ لاالكرى ــ و هذه اليقظة الغربية المسيحية و ماتبعها من الهجوم الاستعمارى أن أصبحت الأُمم الإسلامية تفقد شخصيتها شيئاً فشيئاً وتقع فى أسر الغرب:

و الآن، قد حظيت هذه الأُمم المسلمة منذ قرن من الزمان تقريباً بيقظة و تنبّه جديد من جرّاء التطورات الثقافية و الاجتماعية و السياسية فى العالم، فنظرت من ناحية بنظرة جديدة الى اسلامها و توحيدها و دوافعها الاسلامية و اكتشفت فيها عالماً من الحقائق الغضّة والطرّية، و اوجد فيها ما شاهدت من الحالة الحاضرة للأُمم المسلمة و ما فيها و بينها من التفرقة و الحرمان والتخلف: ألماً و أملاً جديداً مشتركاً بينها.

و نرى نحن من ناحية اخرى حركة و نشاطاً آخر فى الدول الاسلامية الأسيرة؛ و ذلک: أن الدوافع التوحيدية و الشعارات الاسلامية الواقعية و المحرّة لا تبعث الأُمم المسلمة فحسب بل كل امة رأت و ذاقت مذاق الظلم و تعرفت على هذه التعاليم الإسلامية. و لهذا فقد اصبح الاسلام فى دول افريقيا الحديثة وكذلک فى الدول العربية المستعمرة كأيديولوجية لنهضة المحرومين.

و الحضارة الغربية التى كانت منذ القرون السابقة فى حرب مع الاسلام جهراً و خفاءً حينما شاهدت هذه الظاهرة فى الأُمم المسلمة تحركت، دخلت الامبريالية الغربية المستعمرة مع المعسكر الشرقى الشيوعى الماركسى سبل السلام و التعايش السلمي، و تآمرت مع الصهيونية العالمية فأوجدت دولة فى قلب الدول الاسلامية، و هى بعد فى سبيل الحصول على قلوب اتباع الأديان الاخرى كالبوذيّين والمجوس و... وأصبحنا اليوم نرى أن الغرب لايزال يوحد و يجهز جميع القوىٰ المضادة للاسلام والعدالة على الاسلام والمسلمين، و لهذا فقد اصبحنا نكتشف كل يوم مؤامرات فى سبيل التقليل من أثر الشعارات و التعاليم الاسلامية و تضعيفها من جميع الأطراف و النواحى المختلفة.

و لابأس؛ فان جميع هذه المؤامرات ستقوي احساس المسلمين بألمهم المشترک، و تقوي نسيج الوجدان القومى الجماعى للمسلمين.

و ان تلک النظرة و هذا الاحساس للآلام سيتوسّع و يستوعب و يشمل، والأمة المسلمة اليوم فى طريقها الى الوجود مرة اخرى انشاء الله. امة قد عبرت الحدود الموضوعة و العنصرية و الدموية، و شملت جميع المسلمين بل جميع الأحرار الموّحدين، امة تنفى و تنكر حكومة القوميات و الطبقات و الأُسروا لعوائل، و تجعل أركانها على أساس تحرير البشر من

جميع الأغلال و القيود الفكرية و الاجتماعية و السياسية، و هدايتهم إلى التقرب من ساحة ربّ العالمين الرحمان الرحيم.

و قد كان رجال كالسيد جمال الدين الحسيني الهمداني الأسدآبادي (الشهير بالآفغاني) و محمد اقبال، و محمد عبدة، و النائيني، و بشير الابراهيمي، و عبدالرحمن الكواكبي: في مقدمة من ادرك هذه النظرة الحديثة في الاسلام و التوحيد، و من أوائل من أحسّ بالآلم و الأمل الاسلامي الحديث، و المؤسسين للأمة التوحيدية الجديدة.

و هذه هي نغمة اقبال اللاهوري كالنسيم البليل يوقظ القلوب المتفرقة و النائمة للأُمة المسلمة، و يذكّرهم برسالتهم الاسلامية في سبيل خدمة الانسانية، و يحمل لهم بشرى تحرير البشرية؛ فيقول:

قم من النوم سريعاً
ايها المسلم قم * لا تنم، هيّا فقم
ايها البائت في نوم عميق قم من النوم سريعاً
نهبوا بيتك قم يا ذاالغريق قم من النوم سريعاً
ايها المسلم قم * لا تنم، هيّافقم
قم من النوم سريعاً
قم من النوم بصيحات الديوك و مناجات السحر
و بصيحات أذان علموك حينما الفجر ظهر
ايها المسلم قم * لا تنم، هيّافقم
قم من النوم سريعاً
قد غدا بحرك ميتاً كالقفار غائراً، مثل الغدير
لانرى موجاً به، مثل الصحارى لا، و لاحوتاً يسير

ايها المسلم قم * لا تنم هيّافقم
قم من النوم سريعاً
قم و كن أنت به التيار، ناراً قم و كن موجاً يثور
ثائراً لاكي تُكبدنا دماراً بل لكي تبنى الجسور
ايها المسلم قم * لا تنم، هيّافقم
قم من النوم سريعاً

فلقد حطم (الافرنج) البلاد ناهباً كلّ متاع
لابعدوان صريح بالعباد بل بزور و خداع
ايها المسلم قم * لا تنم هيافقم
قم من النوم سريعاً[١٧]

١١ ــ التعريب: للمعرب

الاسلام

و

ايران

القسم الأول:

الاسلام و القومية الايرانية:

* نحن و الاسلام.
* القومية اليوم.
* لفظة «الملّة»[1].
* كلمة: «الملة» فى المصطلح الفارسىّ اليوم.
* القومية و المجتمع.
* العصبيات القومية.
* القومية و الناسيونالية.
* مقياس القومية.
* الاسلام و القومية.
* الاسلام و العالمية.
* المقاييس الاسلامية.
* اسلام الفرس.
* متى بدأ الفرس يخدمون الاسلام؟
* هزيمة الفرس أمام المسلمين.
* الفرس والحكم الفارسي.
* تسرّب الإسلام الى قلوب الفرس.
* واللغة الفارسية؟
* الفرس والتشيّع.

---

١ ــ تستعمل كلمة «الملة» فى الفارسية بدلاً من «الأُمة» فى العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن و الإسلام:

كانت لنا نحن الايرانيين ــ كما يشهد التاريخ ــ طول حياتنا التاريخية الممتدة عبر آلاف السنين، و فقاً للعوامل التاريخية المختلفة، و مع الأُمم و القوميات المختلفة فى العالم: علاقات اخوية أحياناً و متخاصمة احيانا اخرى. و قد وصلت الينا على أثر هذه العلاقات المختلفة افكار من الآخرين و عقائد مختلفة، كما أننا بدورنا قد أثرنا فى افكار الآخرين و عقائدهم. و قد قاومنا قوميات الآخرين حينما كانت تقدم علينا فلم نذب فيها، و لكنّا مع فرط علاقتنا بقوميتنالم نتعصّب فيها الى درجة العمى لتصبح هذه القومية سبباً لعمى عقولنا و ابعادنا عن الحقيقة و سلب قوة الادراک و التمييزعنّا و ايجاد العناد فينا أمام الحقائق.

و الآن قد مضى على عهد الهخامنشيين ــ الذي كانت فيه ايران الحاضرة بالاضافة إلى مناطق من الدول المجاورة تحت حكم واحد ــ اكثر من الفين وخمسمئة عام. وقدقضينانحن الايرانيين مايقارب نصف هذه القرون الخمسة والعشرين مع العقيدة الاسلامية حيث كان هذاالدين من صميم حياتنا، بحيث كنانحنّک به اطفالنا، ونعيش، و نعبدالله، ونموت، وحتى اصبح تاريخنا و أدبنا، و سياستنا، و حكمنا، و ثقافتنا، و حضارتنا، و شؤون مجتمعنا، بل كل شيءٍ منّا خليطاً بهذا الدين و قريناً به و مزيجاً معه. و حسب اعتراف المطلعين قد خدمنا نحن فى هذه المدة الحضارة الإسلامية خدمات ثمينة لا توصف، و سعينا فى سبيل تقدم هذا الدين و نشره بين سائر امم العالم اكثر من سائر المسلمين و حتى العرب منهم، و ليس لاية امة مثل ما كان لنا من النشاط فى سبيل نشره و ترويجه و اشاعته و تبليغه.

اذن: فيحق لنا أن نلاحظ هذه الروابط بين الاسلام و ايران من النواحى المختلفة، كى نستجلى ما كان من حظّنا من المساعى فى سبيل نشره، و ما كان للاسلام من الآثار فى تقدمنا المعنوي و المادي، بدقة كاملة، و بالاستناد إلى المصادر التاريخية المعتبرة.

القومية اليوم:

ان مسألة «القومية» من المسائل التى كثر حولها البحث و الكلام فى عصرنا الحاضر؛ فقد التفت اليوم الى هذه المسألة كثير من أُمم العالم و منهم المسلمون الايرانيون و غير الايرانيين ــ التفاتاً خاصاً، بل حتى غرق بعضهم فى هذه المسألة بحيث لايمكن أن نحدّدلتورّطه فيها حدّاً و لاحساباً!

و الحقيقة: أن مسألة القومية قد ولدت اليوم للعالم الاسلامي مشاكل كبرى و عظمى ــ هذا فضلاً عن أن هذه الفكرة القومية تخالف اصول التعاليم الاسلامية؛ حيث أنها تنصّ على تساوي جميع العناصر فى نظر الإسلام ــ فان هذه الفكرة تشكل مانعاً كبيراً امام تحقق الوحدة الاسلامية الكبرى «بتشكيل وحدات قومية صغرى مختلفة بل متخالفة متخاصمة».

اذ أن المجتمع الإسلامي ــ كما نعلم ــ يتشكل من أُمم مختلفة، و قدا وجد الاسلام ــ سابقاً ــ من هذه الأُمم المختلفة و المتفاوتة وحدة تسمى: المجتمع الاسلامي، و لا تزال هذه الوحدة الاجتماعية باقية موجودة، اعنى وجود وحدة كبرى تشكل بمجموعها اكثرمن سبعمئة و خمسين مليون مسلم فى العالم، يسودها فكر واحد و أمل واحد و شعور واحد و روابط و علاقات قوية و متينة جدّاً. و مانرى بينها من الفواصل فليس من نفسها هي، بل انما هى من حكومات و دول و سياسات، الذي يشكل الآن العامل الأساس لهذه الفواصل انما هى تلك القوى الاوروبية و الامريكية و الشيوعية. و لكنها مع ذلك لم تستطع أن تحطم أساس هذه الوحدة، الذي يحتل الأرواح و القلوب.

و كما يقول اقبال اللاهوري:

ان دعوى الحق دعوى واحدة ... دورنــاشتى، قلوب صامدة
نحن قطر للندى ... فى صباح واحد[٢]

و يشكل افراد من هذه الوحدة مجتمعاً يقرب من مليون و نصف المليون من النفوس فى كل عام فى موسم الحج.

و القومية و العنصرية فكرة تجعل الأُمم وجهاً لوجه، و هى فكرة من افكار اوروبا

---

٢ ــ الأصل: أمر حق را حجت و دعوى يكى است * خيمه هاى ما جدا، دلها يكى است.
از حجاز و چين و ايرانيم ما * شبنم يک صبح خندانيم ما ــ والتعريب للمعرّب.

فى القرون الآخيرة، و لعلها كانت فكرة طبيعة هناك، لعدم وجود مدرسة فكر ية تستطيع أن تجمع الأُمم الاورو بية فى وحدة انسانية متسامية. و انما تسرّبت هذه الفكرة بين الأُمم الشرقية بواسطة المستعمر ين، اذ لم يرالمستعمر سبيلاً إلى تطبيق سياسته القائلة: فرق تسد، أحسن من أن يلفت الأُمم المسلمة إلى قومياتها وعناصرها و يشغل افكارها بمفاخرهاالوهمية؛ فيقول للهندي: ان لک سابقةً تاريخية كذا و كذا، و يقول للتركى: أسسّ نهضة الشباب الأتراک و القومية التركية و يقول للعربي ــ وهو أسرع الأقوام استجابة لهذه العصبيات: اتّخذ «العرو بة» سنداً و عماداً، و يقول للايراني: انک من الجنس «الآري» فيجب عليک ان تستقل و تفصل نفسک عن العرب اذهم من العنصر «السامى».

من الممكن أن يكون لتهييج المشاعر القومية آثار ايجابية مفيدة فى استقلال بعض الأُمم و حر يتها من قيد الاستعمار، لكنّها سببت التفرقة فى الدول الاسلامية اكثر من أن تنتج آثاراً حسنة. ذلک أن هذه الأُمم المسلمة قد طوت هذه المرحلة باسلامها و بلغت به إلى مرحلة أسمى منها، اذ أن الاسلام قد اوجد لها منذ قرون وحدة على أساس فكرة و عقيدة أيديولوجية واحدة، و قد ابدى الاسلام فى هذا القرن العشر ين دوراً حاسماً فى الكفاح ضد المستعمر ين.

و قد كان لعامل الدين الاسلامي من الأثر فى الكفاح الذي تحقق من المسلمين فى القرن العشر ين ضد المستعمر ين و الذي انتهى بنجاتهم من براثن الاستعمار الكافر، اثر اكثر بكثير من اثر الدافع القومي. كما فى كفاح الأُمة الجزائر ية، و الاندونيز ية، و الدول العر بية، و حتى الباكستانية.

اجل، ان هذه الأُمم قد ابدت من نفسها منذ قرون أنها تستطيع أن توجد وحدة لها من الدوافع الفكر ية العقائدية و على أساس الايديولوجية المشتركة، فتقوم و تحرر نفسها من براثن المستعمر ين. اذن فدفع هكذا أناس إلى دوافع الشعور القومي لايمكن أن يسمّى باي عنوان سوى الارتجاع.

وعلى أي حال؛ فقداوجدت الموجة العنصر ية والقومية والوطنية، التى أسسّهاوأثارها الاورو بيون المستعمرون، مشكلة كبرى للعالم الاسلامي. و قد قيل: ان المرحوم السيد جمال الدين الأسد آبادي انماكان يخفى قوميته عن الناس، لانه لم يكن يرغب فى أن يعرّف نفسه إلى الناس منتمياً إلى امة معينة من المسلمين، مخافة أن يعطى بذلک حجة بيد المستعمر ين كى يثيروا بذلک شعور سائر القوميات المسلمة ضدّه.

و بما أننا نتبع ديناً و مسلكاً فى الحياة وأيديولوجية باسم الاسلام لا مجال للعنصر ية و القومية فيه، فلا نملک أن لانهتم بالنسبة بالحوادث التي تجري على خلاف هذه الايديولوجية باسم القومية و الوطنية.

و كلنا يعلم بأنه قد بدأ بعض الافراد اخيراً حر باً ضد الاسلام باسم الدفاع عن

القومية الايرانية[٣] و قد أهان هؤلاء المقدسات الاسلامية بعنوان الكفاح ضد العروبة».

و ما نراه من آثار هذه الحرب ضد الإسلام فى ايران، فى الكتب، الجرائد، و المجلات الأُسبوعية، و غيرها من الصحف، لدليل على أن هذا الأمر ليس من الصدف، بل من تخطيط مدروس.له أبعاده و حدوده، و أهدافه و غاياته و اغراضه، و مقاصده و مراميه.

و ان الدعايات الزرداشتية المجوسية التى قد بلغت اليوم الى أوج كثرتها و انتشارها و اصبحت موديلاً حديثاً من الكلام القومى و الوطنى المعسول، ليست الانشاطاً سياسياً مدروساً و مخططاً له حدوده و أبعاده فالكل يعلم أن الايراني اليوم لايرجع إلى الزرادشتية، و أنه لايمكن للتعاليم الزرداشتية أن تحل محل التعاليم الاسلامية، و أن الشخصيات الزرداشتية و المزدكية و المانوية، و كل من يقدم نفسه إلى الناس تحت عنوان القومية الكاذبة، و الذين لايعرفون بشئ سوى انحرافهم عن التعاليم الاسلامية، سواء من اعلن نشاطه بعنوان الحرب مع الاسلام و من جعل عنوان مكافحة القومية العربية حجة كاذبة له... ان هؤلاء لايستطيعون أن يحتلوا فى قلوب الايرانيين اليوم محل الأبطال المسلمين ابدا... فلايمكن أن يحتل المقفع اوالمقنع و سناباذ و بابک و ماز يار فى قلوب الايرانيين اليوم محل الامام أميرالمؤمنين على بن ابيطالب و الحسن بن على والحسين بن على، بل و حتى محل سلمان الفارسي. يعلم بهذا الجميع.

و لكن الذي يمكن أن يقع هو أن يثير هؤلاء بدعاياتهم هذه الشعور القومى و العنصري و الوطنى للشباب العاطفى المتحمس غير المتعقل، ضد الاسلام، فيقطعوا بذلک علاقة هؤلاء الشباب بدينهم الإسلام. اقول: انه و ان كان لايمكن أن تحتل عواطف دينية اخرىٰ محل العواطف الإسلامية، و لكن يتمكن هؤلاء من أن يبدّ لواهذه العواطف الاسلامية بعواطف مضادّة للاسلام، و بهذا يمكنهم أن يخدموا أسيادهم المستعمرين. و من هنا نرى أن الذين هم يضادّون الله و الدين بصورة مطلقة، يدافعون فى كتاباتهم الفارغة الجوفاء عن الزرداشتية و الاوضاع السائدة فى ايران قبل الإسلام. و من هنا نعرف أهداف هؤلاء.

---

٣ ــ و قد تصاعدت النعرات القومية فى الدول العربية يوماً بعد يوم، حتى أن عدداً غير محدود من كتاب هذه الدول العربية اخذوا يعتمدون على عروبتهم فحسب مع أنهم مسلمون. و هذا بنفسه ــ كما نعلم ــ نوع من المقاومة أمام المقاييس الاسلامية الشاملة التى لا تعتمد الا على الجوانب المعنوية و الانسانية فى الانسان. و كما نعلم فقد عاد هذا العمل فى الدرجة الاولى بالضرر على أنفسهم، فقد عجزوا بذلک عن مقاومة إسرائيل مع ما هم عليه من كثرة العدّة و العُدّة. و لا شک أن لو اعتمدوا فى حربهم معهم على القوى الاسلامية لا العربية فحسب لما كانوا يصابون بهكذا فشل ذريع. و قد كتب احد الكتاب الباكستانيين يقول: ان فى حرب العرب و اسرائيل في «يونيو» غلبت القوة الدينية ــ الصهيونية، على قوى القومية العربية!.. و هذه الكلمة و ان كان فيها نوع من المبالغة، اذا أنها ترى لدافع الدين دخلاً كبيراً عند الصهيونيين، في حين أن للعنصرية و القومية والدم عند اليهود فضلاً اكبر بكثير من فضل العقيدة اليهودية، لكنّها كلمة صحيحة فى انتقادها و تخطئتها للاعتماد الفارغ و ←

و نحن نريد أن نرد هذا البحث بنفس هذا المنطق الذي يستعمله هؤلاء، اي منطق القومية و الاحساس القومي، اجل، بهذا المنطق، مع أنا نعلم أن القومية ــ كما قال اقبال الباكستاني ــ نوع من الوحشية، و نعلم أن الشعور القومى انما يحسن منه ما كان له دورايجابي لخدمة المواطنين، و انه اذا أخذ الجانب السلبي و سبب التميز فى الحكم و القضاء و فى رؤية المحاسن و العمى عن المساوىء، كان مضاداً للاخلاق و الانسانية، و نعلم أن هناك منطقاً أسمى من منطق الأحاسيس القومية، يكون الدين و العلم و الفلسفة فوق مرتبة الأحاسيس، و أن الأحساسيس القومية مهما كانت مرغوباً فيها فى أى مجال كانت غير مرغوب فيها فى الدين و العلم و الفلسفة، فانه لايمكننا أن نقبل مسألة علمية اوفلسفية اودينية بحجة أنها مسألة قومية، كما لايمكن أن نردها و نعمى عنها بحجة أنهااجنبية و من اجنبىّ عنا، و لقد صدق من قال: «لاوطن للدين والعلم و الفلسفة، بل هى لكل أحدو فى كل بلد» كما انه لاوطن لرجال العلم والدين والفلسفة، بل هم عالميون، لهم وطن فى كل مكان واخوان فى جميع البلدان... نعم، نعلم ذلك كله...

و لكنا ندع هذا المنطق الانسانى المعقول جانباً، و نرد البحث بنفس ذلك المنطق العاطفى الذي لاينبغى إلالغير المتكاملين فى الانسانية!

فنبحث فى انه: هل يجب علينا أن نحسب الاسلام ــ حسب المنطق القومي ــ أمراً من قوميتنا ام من الاجنبى الغريب عنا؟ فهل ان الاسلام وفقاً لمقاييس القومية يعدّ جزءاً من هذه القومية الايرانية؟ ام خارجاً عنها؟

و على هذا؛ فيجب أن نقسم البحث الى قسمين:

الأول: فى مقياس «القومية» يعنى: ما هو ملاك أن نجعل الشيء داخلا فى قومية امة اوخارجاً عنها؟

الثانى: هل أن الاسلام ــ وفقاً لهذه المقاييس و طبقاً للقومية الايرانية ــ شيء منها ام اجنبي عنها؟

و بعبارة اخرى: ان لبحثنا كبرى و صغرى، فالكبرى هو القسم الاول، و الصغرى هو القسم الثانى.

و نقوم بمقارنة ضمنية بين الاسلام و الزرداشتية من نفس هذه الناحية؛ اي كى نعلم ــ وفقاً للمقاييس القومية ــ هل ان الاسلام اكثر انتساباً الى القومية الفارسية الايرانية؟ ام الزرداشتية المجوسية؟!

الموهوم عند العرب على «العروبة».

قد خطب احد العلماء العرب فى «مؤتمر رابطة العالم الاسلامى فى مكة فى عام ١٣٨٧ هـ» يقول: «... والله لم يدخلْ الاسلام المعركة قط...» بل كانت «العروبة» مع «الصهيونية» ــ المؤلف.

لفظة «الملة»:

لفظة «الملة» لفظة عربية معناها: الطريقة السلوكية. وقد جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم بنفس هذا المعنى في(١٥) مورداً[٤]. ولكن يختلف مفهومها في القرآن عما اصطلح عليه في الفارسية اليوم:

فان «الملة» في المصطلح القرآني تعني: الطريقة السلوكية التي عرضها زعيم الهي على البشر؛كما في قوله تعالى: «ملة ابيكم ابراهيم»[٥] اي طريقته وسبيله، وقوله تعالى: «ملة ابراهيم حنيفاً»[٦]. ويقول الراغب الاصبهاني في مفرداته: «الملّة: كالدّين، وهي اسم لما شرّع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء، ليتوصّلوابه إلى جوار الله. والفرق بينها وبين الدين: أن الملة لا تضاف الا الى النبي «عليه الصلاة والسلام» الذي تسندالية؛ نحو: «فاتبعوا ملة ابراهيم»[٧] و «اتبعت ملة آبائي»[٨] ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى آحاد امة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها؛ لايقال: ملة الله، ولا ملّتي، ولا ملة زيد، كما يقال: دين الله ودين زيد، ولايقال: الصلاة ملة الله. وأصل الملة: من أمللت الكتاب، قال تعالى: «وليملل الذي عليه الحق»[٩] «فان كان الذي عليه الحق سفيها اوضعيفاً اولايستطيع أن يمل هوفليملل وليه»[١٠]

وتقال: الملة، اعتباراً بالشيء الذي شرعه الله.»[١١]

اذن: فالملة في القرآن الكريم: هي المجموعة الفكرية والعلمية والطريقة العملية التي يجب على الناس العمل بها وعلى طبقها وعلى هذا فيكون الدين والملة بمعنى واحد، مع فرق: أن الشيء الواحد يسمى باعتبار: ديناً، وباعتبار آخر: ملة، واعتبار الملة ــ كما قال الراغب ــ هو أن يكون ذلك من املاء الله على رسول الله لابلاغ عباد الله وهدايتهم اليه.

وقد سبق من الراغب ــ وهو عالم بفقه اللغة ــ أن قال: «والفرق بينها وبين الدين: أن الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تسند اليه...ولا تكادتوجد مضافة إلى الله ولا الى آحاد امة النبيّ، ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها؛ لايقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي، وملة زيد، كما يقال: دين الله، ودين زيد...» فكأنما قدّرفي مفهوم هذه الكلمة معنى القيادة.

---

٤ ــ وهي في: البقرة: ١٢٠ و ١٣٠ و ١٣٥. وآل عمران: ٩٥. والنساء: ١٢٥. والأنعام: ١٦١. والاعراف: ٨٨ و ٨٩. ويوسف: ٣٧. وابراهيم: ١٣. والنحل: ١٢٣. والكهف: ٢٠. والحج: ٧٨.

٥ ــ الحج: ٧٨. ٦ ــ آل عمران: ٩٥. ٧ ــ آل عمران: ٩٥.

٨ ــ يوسف: ٣٨. ٩ ــ البقرة: ٢٨٢. ١٠ ــ البقرة: ٢٨٢.

١١ ــ مفردات الراغب ص ٢ ــ ٤٩١ ط ــ التقدم. وأنا ارجح أن تكون الملة مشتقة من الملّ لامن الاملاء، وقد ←

و لهذا فبامكاننا أن نقول: ان كلمة «الملة» قريبة من كلمة «المدرسة الفكرية» فى المصطلحات الحديثة، فهى أيضاً تضاف إلى زعيم المسلك و الطريقة الخاصة، و اذا اضفنا الى ذلك معنى الاملاء فانه يتضح قرب هاتين الكلمتين اكثر فاكثر.

كلمة «الملة» فى المصطلح الفارسي اليوم:

و قد وجدت هذه الكلمة فى المصطلح الفارسي اليوم مفهوماً يختلف مفهومها الأصلي. فان كلمة «الملة» تطلق اليوم فى الفارسية على وحدة اجتماعية لها سوابق تاريخية واحدة و قوانين و حكومة واحدة و آمال مشتركة. فنحن اليوم نطلق هذه الكلمة بدلاً عن كلمة الأُمة، فبدل أن نقول: الأُمة الألمانية و الانجليزية والفرنسية، نقول: الملة الألمانية و الملة الانجليزية و الملة الفرنسية. و احيانا لانطلق هذه الكلمة على جميع تلك الأُمة بل نقسمهم الى طبقتين: حاكمة و محكومة، فنطلق على الطبقة الحاكمة كلمة: الدولة، و على الطبقة المحكومة: كلمة: الملة.

و هذا المصطلح الفارسي مصطلح جديد مستحدث، بل هو مصطلح خاطئ مغلوط فيه. ولم يرد هذا المصطلح بهذه الصورة حتى فى الفارسية من قبل مئة سنة. ولا اظنه الا أنه استحدث على عهد مطالبة الأُمة بالحكم الدستوري فى ايران «المشروطة».

و العرب اليوم، فى الموارد التى نحن نستعمل فيها كلمة «الملة» هم يستعملون كلمة «الشعب» او «القوم» فيقولون مثلاً: «الشعب المصري» و «الشعب الايرانى». و نحن نريد هنا بالبحث هذا المعنى لا المعنى السابق الأصيل لكلمة «الملة».

القومية والمجتمع:

و نعبر البحث اللغوي لندخل بحثاً اجتماعياً فنقول:

ان «الاسرة» اصغر وحدة اجتماعية. و حياة الاسرة هى الحياة المشتركة المحدودة بالزوج والزوجة واولادهما وازواجهم واولادهم.

و حياة الأُسرة حياة قديمة جداً، بقدم وجود الانسان. و حتى الذين يعتقدون بأب غير انسان للانسان يعترفون بحياة له عائلية.

و «القبيلة» هى الوحدة الاجتماعية الاكبر من وحدة الأسرة، و هى تشمل مجموعة

قال الراغب فى الملأ: جماعة يجتمعون على رأي. و هو من: مالأته اى عاونته و صرت من جمعه، لامن الملء كما قاله الراغب أيضاً فعرّف الملأ: بأنهم يملأون العيون رواء و منظراً و النفوس بهاءً وجلالاً و على مارجّحناه أيضا تكون الملة بمعنى الطريقة السلوكية ــ كما يريده الكاتب الموقّر ــ المعرب.

من الأُسرو العوائل التي تشترک جميعاً فى الجد الأعلى لها، والحياة القبلية هى مرحلة متطورة للحياة العائلية. و زعموا أن الذي كان يسود الحياة العائلية المنفردة للانسان الأول من حيث النظام المالى و الاقتصادي: هى الاشتراكية لا الملكية الخاصة والفردية، و انما وجدت هذه الملكية الخاصة فيمابعد.

و الوحدة الاجتماعية الاكبر من هذه الوحدة القبلية و الاكثر منها تقدماً و تطوراً: هى التى يصطلح عليها فى الفارسية اليوم بكلمة: «الملة» و هى الوحدة الشاملة لمجموعة من الناس تسودهم حكومة واحدة و قانون واحد. و هذه الوحدة: «الملة» او «الأمة» او «الشعب» يمكن أن تكون قد تكونت من مجموعة قبائل تشترک جميعها في العرق و الدم على أصل واحد، و يمكن أن تكون هذه القبائل التى تشكل هذا الشعب لا تشترک بعضها مع البعض الآخر فى شئ من ذلک، و يمكن أن لا توجد فيهم الحياة القبلية او أن تكون بين بعضهم دون البعض الآخر منه.

و قد جاء فى كتاب «اصول علم السياسة» ج ١ ص ٣٢٧ مامعرّبه:

«بالنظر الى الفصل المصطلح عليه فى هذا القرن فى الفارسية بين «الناس» و «الأمة»: تطلق لفظة «الناس» فى الاكثر بغرض تعيين جماعة من المجتمع، بينما تكون كلمة «الملة: الأمة» عندهم ذات معنى يقصد به وحدة اجتماعية ذات حقوق سياسية حاكمة على قطعة من ارض دولّية؛ و تحصل هذه الوحدة فرعاً عن الوحدة التاريخية، و اللغوية، و الدينية، او الاقتصادية، او فى الآمال المشتركة على صعيد الوجود والبقاء. و على هذا: فكلمة: «الناس» لها معنى ذو صبغة دراسية عن المجتمعات، بينما ينظر إلى كلمة «الأمة: الملة» في الاكثر من النواحي الحقوقية و السياسية الدولية او الداخلية.

اضف الى ذلک: أن هذه الالفاظ تختلف مفاهيمها باختلاف الاعراف السياسية: الماركسية و الليبرالية، فعلينا أن نرى القائل او الكاتب ماذا يتبّع من هذه الأفكار و الايديولوجيات».

تعيش اليوم فى عالمنا هذا أُمم مختلفة، و الذي نراه قد جعل من كل أُمة من هذه الأُمم امة واحدة و شعباً واحداً: هو القانون و الحكومة و الحياة المشتركة، لاشئ آخر كالعنصر و الدم و غيرهما. فالجامع المشترک لهذه الوحدات هى الحكومة الواحدة التى تدبرهم سياسياً. و ليس لبعض هذه الأمم و الشعوب سوابق تاريخية كثيرة، بل انما هى وليدة حادثة اجتماعية معينة، ككثير من أُمم و شعوب الشرق الاوسط، التى انما هى وليدة الحرب العالمية الاولى و الثانية و هزيمة الامبراطورية العثمانية.

و لانرى اليوم أُمة فى العالم يفصلها عن سائر الأُمم و الشعوب دمها او عنصرها. فهل يفصلنا ــ نحن الايرانيين ــ عن سائر الأُمم و الشعوب المجاورة دم اوعنصر مشترک؟ ام

سوابق تاريخية و اوضاع حكومية و قانونية خاصة! أفهل صحيح مايرتئيه بعضنا: أننا من العنصر الآري و العرب من الدم السامي ؟! أم ليس هناك الآن اي عين او أثر لهذه العناصر و الدماء بعد كل هذا الاختلاط و الامتزاج العجيب!.

و الحقيقة: أن دعوى فصل الدماء و العناصر بعضها عن بعض ليست الآن اكثر من خرافة فى القرن العشرين؛ اذأن العنصر السامي والآري وغيرهما لم تكن منفصلة بعضها عن بعض الا فيما غبر من القرون السابقة قديماً؛ و أما الآن فقد حصل من الاختلاط و الامتزاج بينها مالم يبق معه اي أثر من الكيان العنصري المستقل، فضلاً عن العين.

ان كثيراً من الناس فى ايراننا اليوم من الذين هم بالفعل فارسيون و ايرانيون و هم معترفون بذلك، اما هم عرب اوترک اومغول اوتتار او بربر اوهنود اوزنوج او.... كما أن كثيراً من العرب الذين يتشدّقون اليوم بـ «العروبة» بحماس شديد، هم من عنصر ايرانى اوتركى اومغولي اوغيرها من العناصر و الدماء المختلفة، و اذاسافرتم الى المدينة المنورة اومكة المكرمة لأداء فريضة الحج فانكم سترون أن اكثر أهاليها من اصول هندية اوفارسية او بلخية او بخارائية اومن مكان آخر فى العالم الاسلامي القديم، و لعل أن يكون هناک الكثير من الذين هم من سلالة كوروش اودار يوش هم الآن يتعصبون «للعروبة» فى بعض الدول العربية، و العكس أيضاً صحيح، فلعل أن يكون هنا الكثير من الذين يتعصبون لايران من نسل أبي سفيان. *

و قد كان قبل سنين يحاول أُستاذ فى جامعة طهران أن يثبت بالدليل أن يزيد بن معاوية كان ايرانياً خالصاً(!) فضلاً عن اولاده و ذرّيته. ان كانت له ذرية.

فما نجده اليوم مما يُسمّى بالأُمة (الملّة) هوأنّا نحن اليوم ناس نعيش فى اقليم اوقطر واحد تحت لواء واحد بنظام حكومى واحد و قوانين خاصّة واحدة. أما هل كان آباؤنا و أجدادنا ايرانيين أيضا؟ او يونانيّين اوعرباً او من المغول اومن عنصر آخر، فهذا مالا نعلمه.

و اذا اردنا أن نحكم على أساس العنصر والدم فنقول بأن الايرانىّ هو من يكون من العنصر الآري، كان علينا أن نعترف بأن اكثر الأُمة الايرانية غير ايرانيّين، و نفقد بذلک كثيراً من مفاخر هذه الأُمة. وهذايعنى ايضاً أنا نكون قد اصبنا الأُمة الايرانية بهذه الفكرة اخطراصابة، اذيعيش اليوم فى ايران شعوب و قبائل لايتكلمون بالفارسية و لايرون أنفسهم من العنصر الآري.

وعلى أي حال؛ فليس التبجح اليوم بالدم والاستقلال العنصري سوى خرافة.

---

* اي من العرب الأقحاح.

العصبيات القومية:

تصحب الوحدات الاجتماعية، سواء منها العائلة او القبيلة او الأُمة «او الملة حسب المصطلح الفارسي اليوم» انواع من الأحاسيس و العصبيات، اعنى أنه يوجد فى الانسان انواع من الانتصار العائلى و القومي، و يمكن أن يوجد هذا الاحساس لنفسه مجالاً أوسع بكثير «كالوحدة الاقليمية و القطرية»، فتشعر الأُمم فى اوروبا ــ مثلاً ــ بنوع من حبّ الانتصار لانفسهم أمام أُمم آسيا، والعكس صحيح.

ويمكن ان يكون لبعض الناس من العنصر الواحد شعور كهذا بالنسبة الى ابناء امتهم بالذات.

و «القومية» من افراد غريزة «حب الذات» و لكنّها تجاوزت حدود الفرد و القبيلة لتشمل افراد الأُمة. و يصحبها عوارض هذه الغريزة ــ طبعاً ــ من العجب و العصبية، والفخر والرضا عن النفس، والعمى عن عيوبها (فى مقياس الأُمة).

القومية و الناسيونالية:

ان الاتجاه الى الدعوات القومية يدعى فى اللغات اللاتينية بكلمة: «الناسيوناليسم» و قد ترجمها المترجمون الى ما يعنى: القومية.

و هى تعتمد ــ على ماسبق ــ على العواطف و الأحاسيس القومية لا العقل و المنطق. و لا نريد أن نحكم على القومية بالطرد بصورة مطلقة؛ فانها ان اقتصرمنها على الجانب الايجابي فقط اي كان لها الاثر فى توثيق العلاقات الحسنة وتوطيد الروابط الأخوية و الخدمات بين من نعيش فيهم الحياة المشتركة، لم تكن مضادةً للعقل و المنطق، ولم تكن ذميمة فى الاسلام أيضاً؛ بل يعترف الإسلام بحقوق قانونية اكثر لمن لهم مثل هذه الحقوق كالاقرباء و المواطنين المجاورين.

و انما تصبح القومية محكومة بالطرد عقلاً فيما اذا اتخذت جانباً سلبياً، اى اخذت تفصل بين الافراد بعنوان اختلاف قومياتهم و توجد بينهم علاقات متخاصمة و تعمى عن حقوق الآخرين.

و الفكرة المضادة للقومية = الناسيونالية: هى: الانترناسيونالية (ضد القومية)، فهى تنظر فى القضايا بمقاييس عالمية، و تحكم على الآحاسيس القومية بالطرد المطلق. لكن الاسلام ــ كما قلنا ــ لايحكم على جميع الآحاسيس القومية بالطرد بصورة عامة، بل انما يحكم بالطرد على الآحاسيس القومية السلبية، لا الايجابية.

مقياس القومية:

يبدو للنظر أن يكون معنى القومية ــ اومن مستلزماتها ــ أن تنظر أُمة تعيش فى قطعة معينة من الأرض الى ما انتجته تلك الأُمة التى كانت تعيش فى هذه الارض من الفكرو الابداع على أنه من آثارها القومية، و إلى كل ما جاء ها من ارض اخرى على أنه أجنبىّ عنها.

بينما لايصح هذا المقياس؛ اذ أن الأُمة تتشكل من افرادها، و من الممكن أن يبتدع احدهم شيئاً لايقبله سائر الافراد ولايستسيغه الذوق العام لتلك الامة، و حينئذٍ فلايمكن أن يحسب شئ كهذا على حساب تلك الأُمة بصورة عامة.

فمن الممكن ــ مثلاً ــ أن تختار أُمة نظاماً اجتماعياً خاصاً لحياتها ويقترح لها فرد منها نظاماً مغايراً للنظام العام القائم فلا يقبله الرأى لتلك الأمة، و حينئذٍ فلايمكن أن نحسب هذا النظام المقترح و المردود على صاحبه، من ظواهر تلك الأُمة و مميّزاتها بحجة انه من مقترحات فرد من افراد تلك الأُمة. و يمكن ــ على عكس هذا ــ ان يقوم بعرض النظام الاجتماعي فرد من امة اخرى فى خارج حدود اراضى هذه الأُمة ثم تستقبله و تتقبّله هذه الأُمة، و حينئذٍ فمن البدهى أنه لايمكن أن نصف هذا النظام المقبول لدى هذه الأُمة اجنبياً عنها بحجة أنه انما جاء من مكان آخر، و لايمكن أن ندعى على اولئك الذين تقبلوا هذا النظام أنهم قاموا بعملهم هذا على خلاف الأُصول القومية فصهروا انفسهم فى أُمة اخرى، او أن نقول هؤلاء قد غيروا قوميتهم.

نعم، هناك صورة واحدة يمكن و يصح بل يتعين أن يوصف ما جاء من خارج اراضى أُمة ما بأنه اجنبى وأن قبوله كان على خلاف الاصول القومية، بل يحسب هذا القبول نوعاً من محاولة تغيير القومية؛ و ذلك: فيما اذا كان لذلك الشئ صبغة خاصة لأُمة خاصة بحيث كان شعاراً لها، فمن البدهى أن اذا تقبلت امة شعار أُمة اخرى و اصطبغت بصبغتها كانت قد عملت على خلاف اصول قوميتها. فمثلاً: للأُمة الصهيونية و النازية الالمانية شعارات خاصة لها ألوان قومية خاصة، فلو ارادت امة أن تقبل هذه الشعارات و الالوان كانت قد عملت على خلاف قوميتها.

أما لولم يكن لذلك الشئ لون و صبغة خاصة كانت نسبته الى جميع الأُمم على السواء، و كان ذلك الشعار شعاراً انسانياً عاماً؛ فلو تقبلته امةٌ ما لم يحسب ذلك بالنسبة اليها أجنبياً غريباً و مضاداً لمقتضى قوميتها، و قديماً قال الاصوليون: «ان اللابشرط يتفق و يجتمع مع ألف شرط» اي أن الطبيعة المجردة غير ذات الصبغة الخاصة يمكنها أن تجتمع و تتفق مع كل صبغة واي لون كان، اما الطبيعة المشروطة بشئ ما والتى لها لون وصبغة خاصتان فهى لاتجمع

مع شئ آخر له لون آخر و صبغة اخرىٰ.

و بهذا الدليل نقول: ان الحقائق العلمية تنتسب إلى جميع الأُمم و الشعوب، ولا يحق لاية أُمة أن تحتكر اصول الأعداد والحساب و جدول الضرب لفيثاغورس، ولا أن تحتكر نظرية النسبية لآينشتاين، ولا يتنا فيٰ اتخاذ هذه الأُمور مع قومية اية أُمة ايضاً؛ ذلک آنها حقائق لالون لها ولا رائحة ولا طعم قومية امة خاصة.

و بهذا الدليل نقول: ان العلماء و الفلاسفة و الانبياء و الرسل ينتسبون إلى جميع امم العالم، ولا يجوز آن تُقْصَرَ افكارهم و آراؤهم و عقائدهم و آمالهم على أُمة خاصة اوقومية معينة.

و الشمس لاتختص بأُمة، ولايشعراي قوم بأنها أجنبية بالنسبة اليهم؛ ذلک أن الشمس تنتسب الى جميع الأُمم بنسبة واحدة ولا تتعلق بقوم او ارض خاصة، وان كانت هناک قطعة من الأرض لايصل اليها نورها فذلک من طبيعة تلک الارض لا الشمس، فان الشمس لم تخصص نفسها بقطعة من الارض خاصة.

اذن: فقد تبيّن أن الشئ اذا كان قائماً او منبعثاً اونابعاً اوناتجاً من امة ما لم يكن ذلک مقياساً يعدّ ذلک الشئ من المنتجات القومية لها الخاصة بها والمحصورة فيها و عليها، و كذلک اذا كان الشئ وارداً على تلک الأُمة من خارج اراضيها لم يكن ذلک مقياساً لكونه اجنبياً و غريباً عنها.

كما أن السوابق التاريخية أيضاً ليست مقياساً صحيحاً للقومية، فمن الممكن أن تكون امة ما قد تقبلت نظاماً اجتماعياً خاصاً طوال قرون عديدة مديدة ثم هى تغير من نظرتها فتختار لنفسها نظاماً جديداً عوضاً عن النظام السابق.

فمثلاً: كان لنا نحن الايرانيين ككثير من الدول و الأُمم الاخرى طوال خمس و عشرين من القرون نظام ملوكى استبدادي ديكتاتوري غير دستوري، و الآن نحن فى النصف الثانى من القرن الاول منذأن اختارت امتنا لنفسها النظام الدستوري البرلماني (المشروطة)، و لم نكن نحن قد ابتكرنا هذا النظام بل جاءنا من العالم الخارجي، الا أن امتنا قد تقبلت هذا النظام الخارجي و ضحت فى سبيل الحصول عليه الكثير الكثير (٦٠ الف قتيل!).

و قد قام كثير من افراد هذه الأُمة بالمقاومة الشديدة العجيبة أمام هذا النظام الجديد، كفاحاً مسلحاً اهدروا فيه دماءهم لحفظ ذلک النظام الاستبدادي السابق، الا أنهم حيث كانوا فى الأقلية من الأُمة و قد قبل الاكثر النظام الجديد و ضحى فى سبيله، فقد فشل القليل و استسلم لارادة الاكثرية من الأُمة مضطراً الى ذلک كرها و رغما عنه.

و الآن فهل نعد هذا النظام الجديد نظاماً قومياً وطنياً؟! ام نقول ان هذا النظام الجديد بعيدعنا و اجنبي و غريب، وأن نظامنا القومي هوالنظام الاستبدادي،

حيث كان هو نظامنا طوال تار يخ حياتنا الاجتماعية، و اننا لم نكن قد ابتدعنا هذا النظام البرلماني الدستوري و انما اقتبسناه من بلدان اخرى؟

و بالنسبة الى لائحة حقوق الانسان لم نكن نحن قد نظمناها ولا اشتركنا فى تنظيمها، و لم يكن الكثير من موادّها مطروحاً لدينا فى طول تاريخنا القومي، ولكننا قد قبلناها كما قبلها الكثير من الأُمم الاخرى فى العالم. فما ذا نقول بالنسبة لهذه اللائحة بنظرة قومية؟ و ماذا يقول سائر الأُمم بشأنها و هى مثلنا لم تشترك فى تنظيمها و قد وصلت اليها من خارج اراضيها؟ فهل ان الأحاسيس القومية تلزمها أن تقاومها بحكم أنها جاءتها من خارج حدودها ولها سوابق تاريخية مغايرة لها؛ و تعدّها غريبة و اجنبية عنها؟ ام يجب عليها ان تحسبها حقوقاً قومية وطنية غير اجنبية، وذلك بحكم أنها لالون ولا رائحة فيها لأُمة خاصة، ثم بحكم أن الأُمة قد تقبّلتها فهي لها ومنها.

والعكس صحيح أيضاً؛ ذلك انه من الممكن أن تسلك فرقة من الأُمة مسلكاً تتخذة ديناً خاصاً لها ثم لايعد ذلك ديناً قومياً لتلك الأُمة، و ذلك من حيث أن هذ ا الدين لم يتخذ صبغة هذه الامة ان لم يكن ذا صبغة من امة اخرى، أومن حيث أن هذا الدين لم يقع موقع القبول لدى هذه الأُمة التى قام هو و نشأمن بعض افرادها، فالمزدكية و المانو ية مثلاً انبتقت فى هذه الامة الايرانية الا أنها لم تستطع أن تجتذب اليها جميع الأُمة ولا اكثرها ولا أن تحظى بتأييدها وعلى هذا فلا يمكننا أن نحسب هذين المسلكين من الظواهر الفكر ية القومية لهذه الأُمة. بل لو اردنا أن نعدّ مثل هذه الأُمور من الظواهر القومية باعتبار مبتدعيها و اتباعها المعدودين نكون قد اهنّا عواطف الاكثر يّة من هذه الأُمة و أحاسيسها اهانة كبرىٰ.

و قد علم من مجموع ما قلناه إلى هنا: أننا بالنظر إلى العواطف و الأحاسيس القومية لايمكننا أن نعد كل ما كان نابعاً من أوساط الوطن قومياً، و لا أن نحسب كل ما جاءنا من حدود و اراض اخرى اجنبياً غر يباً عنا. بل العمدة فى المقام: أن نرى هل أنّ لهذا الشئ صبغة امةٍ خاصة ام هو عالمى عام لالون له؟ ثم هل أن هذه الأُمة المعنية قد قبلته بطوعها و رغبتها ام لم تقبله إلاكُرها و اضطراراً؟ فان حصل الشرطان فى الشئ كان ذلك قومياً وطنياً، و الا كان اجنبياً، سواء حصل احد الشرطين ام لم يحصلا.

و على كل حال؛ فان «قيام الشئ من بين امة ما» ليس سبباً صحيحاًلان نحسب الشئ قومياً وطنياً، و لا أن نعدّه غر يباً و اجنبياً.

و الآن علينا أن نبحث حول ما اذا كان الاسلام بالنسبة إلى هذه الأُمة الايرانية حاصلاً على هذين الشرطين أم لا؟: فهل أن للاسلام لون امة خاصة كالعرب مثلاً؟ ام انه دين عالمى عام لالون له و لاصبغة سوى صبغة الخالق المطلق؟ ثم: هل أن الفرس قبلوا هذا الدين عن طوع و رغبة ام لا؟

فما بحثناه إلى هنا كان فى مصطلح المنطقيين بحثا «كبرو يا» و الآن نرد البحث حول «الصغرى» لهذه الكبرى العامة.

الاسلام و القومية:

من المسلّم أن لا اعتبار فى دين الاسلام للقومية بهذا المعنى المصطلح اليوم بين الناس بل ان هذا الدين ينظر الى جميع الأُمم و الشعوب بنظرة واحدة، و أن الدعوة الاسلامية لم تختصّ بامة خاصة، بل لازال هذا الدين يسعى و يحاول قلع جذور المفاخرات القومية من أساسها بمختلف السبل و الوسائل.

و علينا هنا أن نبحث فى فصلين:

الاول: فى أن الدعوة الاسلامية كانت منذ ظهورها دعوة عالمية عامة.

"لثاني: فى أن المقاييس الاسلامية مقاييس عالمية لاقومية و لاعنصرية.

الفصل الاول:

فى أن دعوة الاسلام كانت دعوة عالمية:

يدعي بعض المستشرقين: آن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان منذ اظهاره لدعوته يريد هداية قريش خاصة! لكنّه حينما أحسّ بتقدم فى دعوته صمّم على تعميم الدعوة لجميع العرب بل و غير العرب.

و ليست هذه الدعوى سوى تهمة غير شريفة! فهى ــ بالاضافة الى أنها لا دليل عليها من التاريخ ــ تباين مايستفاد من الآيات الاولى النازلة على رسول الله(ص) من الأُصول العامة، و غير الآيات من القرائن الأُخرى المرافقة لسير الدعوة منذ البداية.

فى القرآن آيات كانت من مستهلات دعوته صلى الله عليه و آله فى مكة منذ اوائل الزمن بعد البعثة، و لها مع ذلك صور عامة و عالمية:

فمن هذه الآيات ما جاء فى «سورة التكوير» و هى من السور المكية القصار النازلة فى اوائل الزمن بعد بعثة النبى صلى الله عليه و آله وسلم، تقول هذه الآية: «ان هو إلّا ذكر للعالمين».[12]

و فى آية اخرى فى «سورة سبأ»: «و ما ارسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً، و لكنّ اكثر الناس لايعلمون»[13].

و فى «سورة الأنبياء»: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»[14].

---

١٢ ــ التكوير: ٢٧.　　١٣ ــ سبأ: ٢٨.

١٤ ــ الانبياء:١٠٥.

و فى «سورة الأعراف»: «يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً»[١٥].

ولايوجد فى اي مورد من القرآن الكريم حتى خطاب واحد بكلمة: (يا ايها العرب) او (يا ايها القرشيون) نعم قد يأتي خطاب: يا ايها الذين آمنوا، و ذلك يخصّ المؤمنين الذي آمنوا برسول الله صلى الله عليه و آله، و يدخل فى هذا الخطاب المؤمن من اي قوم كان و أية امة، و جاء فى سائر الموارد خطاب: يا أيها الناس، و هو خطاب عام جاء فيما يعم جميع الناس.

و هنا موضوع آخر يؤكد عالمية التعاليم الاسلامية وسعة النظر فى هذا الدين؛ و هو ما جاء فى آيات اخرى من القرآن الكريم تفيد نوعاً من «التعزّز» وعدم الاعتناء باسلام العرب، و أن لاحاجة للاسلام بهم، و افتراض ايمان غيرهم بملء قلوبهم وارواحهم فى صورة عدم ايمانهم به. بل تفيد هذه الآيات أنها ترى روحية اولئك «القوم» غير العرب انسب وأقرب الى قبول الإسلام و الايمان به بقلوبهم. و هذه الآيات تبيّن عالمية الإسلام بصورة واضحة: كما جاء فى «سورة الانعام»: «فان يكفربها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوابها بكافرين»[١٦].

و يقول فى «سورة النساء»: «إن يشأ يذهبكم ــ ايها الناس ــ و يأت بآخرين، و كان الله على ذلك قديراً»[١٧]

و يقول فى «سورة محمد»: «و ان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم»[١٨]

و قد روى الشيخ الطبرسى فى «مجمع البيان» فى تفسير هذه الآية عن الامام الباقر عليه السلام أنه قال: «ان تتولّوا ــ يا معشر العرب ــ يستبدل قوماً غيركم ــ يعنى الموالي» و روى عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «قدوالله أبدل بهم خيراً منهم: الموالى» و عن أبي هريرة: أن ناساً من أصحاب رسول الله قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله فى كتابه؟ وكان سلمان الى جنب رسول الله(ص) فضرب يده على فخذ سلمان فقال: هذا و قومه، و الذي نفسى بيده لوكان الايمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس»[١٩].

و لسنا نحن هنا الآن بصدد أن نثبت أن هؤلاء القوم هم الفرس اوغيرهم، بل انما نريد أن نقول: ان الإسلام كان ينظر إلى اسلام العرب و غيرهم بنظرة واحدة، بل قد وقع العرب موقع اللوم من قبل القرآن الكريم لعدم اعتدادهم بالاسلام، و اراد الإسلام بهذا أن يفهمهم بأنه سيتقدم سواء آمنوا به ام لم يؤمنوا، إذ ليس الاسلام ديناً لفئة خاصة، او قوم بعينهم.

و الموضوع الآخر الذي يحسن هنا الالفات اليه هو أن تجاوز فكر او مسلك او دين او

---

١٥ ــ الاعراف: ١٥٧. ١٦ ــ الانعام: ٨٩.

١٧ ــ النساء: ١٣٢، و قد روى البيضاوى فى تفسيره قال: «لما نزلت هذه الآية ضرب رسول الله (ص) يده على ظهر سلمان و قال: انهم قوم هذا» ج ١ ص ٢٤٩ ط الحلبى ٢.

١٨ ــ سورة محمد (ص): الآية الاخيرة. ١٩ ــ مجمع البيان ج ٩ ص ١٠٨ ط صيدا.

عقيدة عن حدودها المحدودة ونفوذها الى شعوب وراء الحدود البعيدة عنها ليس أمراً يختص بدين الاسلام، بل ان كثيراً من الاديان الكبرى في العالم لم تستقبل في مواطنها الأصلية كما استقبلت في سائر الا راضي الاخرىٰ. فمثلاً: ولد السيد المسيح عليه السلام في فلسطين ــ و هي منطقة من الشرق ــ و له اليوم اتباع في الغرب اكثر من الشرق، فان الاكثرية العظمى من الاورو بيين و الامر يكيين مسيحيون، بينما هم اجنبيون عن السيد المسيح من حيث المناطق و حتى القارات، وعلى العكس نجد أن الناس في فلسطين اما يهود أو مسلمون، ولا يوجد فيها مسيحي الا نادراً. فهل يشعر الاورو بيون و الامر يكيون بالنسبة إلى المسيحي بالاجنبية؟!

ولا ادرى لماذا لا يفكر الاورو بيون ـ الذين هم يلقون هذه الافكار المفرّقة ـ بها في شأن أنفسهم هكذا، وانما يلقنونها عملاءهم في اغراضهم الاستعمارية؟! فلو كان الاسلام اجنبياً بالنسبة إلى الايراني، فالمسيحية أيضاً أجنبية بالنسبة الى الاورو بيّين و الأمر يكيّين.

بل السبب بيّن؛ فانهم قد أحسّوا بأن الإسلام هو الوحيد الذي يهب الناس في الشرق روح الاستقلال و المقاومة كفلسفة للحياة مستقلة، و لولا الاسلام فليس هناك شئ آخر يمكنه الكفاح و مقاومة الأفكار الاستعمارية السوداء و الحمراء.

و قد ولد «بوذا» في «الهند» أيضاً، و قد آمن به ملايين في الصين و الاقاليم الاخرىٰ، بينما لم يبق الشعب الهندي ممحّضاً للاذعان البوذي، بل أسلم الكثير منهم.

و «زرداشت» و ان لم تتسّع افكاره الدينية فلم تخرج من حدود ايران، الا أنها شاعت في اراضي بلخ و بخارىٰ اكثر منها في آذربايجان و هي مسقط راسه كما يقولون.

و لم يتقبل الاسلام في بدئه اهل مكة ــ و هي مولد الإسلام ــ بينما استقبله أهل المدينة، و هي تبعد عن مكة مئات الكيلومترات (٥٠٠ كيلومتر تقريباً).

و نترك الكلام حول الأديان و المذاهب لننظر إلى مثل هذه الحالة في المسالك و المبادئ غير الدينية. و اقواها و اشهرها الشيوعية «الكومونيسم». فمن أين ظهرت الشيوعية و من أيِ فكر و اية أُمة؟

و نجد الاجابة: آن «كارل ماركس» و «فردريک انجلس» هما شخصان المانيّان بنيا أساس الشيوعية. و قد امضى ماركس اواخر حياته في بريطانيا و هو يرى أن الأُمة البريطانية الانجليزية هي أسرع الأُمم ايماناً بالشيوعية و انتماءاً اليها. بينما لم تتقبل اية امة من هاتين الأُمتين الانجليزية و الألمانية هذا المبدأ الجديد، بل تقبلتها الأُمة الروسية (او بعضها) في حين لم يكن ماركس يفكر في أن تشيع فكرته الشيوعية في الصين اوالاتحادالسوفياتي، بدلاً من الانجليز او الالمان.

و ينبغي لنا أن نتساءل من هؤلاء القوميين المتطرفين: ياترىٰ لماذا لا تتحسس الأُمم الروسية و الصينية بقومياتها فتطرد الشيوعية الوافدة اليها من خارج اراضيها و المضادة

لقومياتها؟! واذا قلنا لهم ذلك فسوف يضحكون على عقولنا و يقولون: ان نحن الا بشر نقلد الآخرين و نقتبس من أفكارهم.

و ليس هذا بدعاً أن يخرج دين او نظام من محله الاول فينفذ فى محل آخر بأهمية اكثر و اكبر، و قد ارتأى الاسلام لنفسه ذلك منذ بدئه، و بشّر البشر منذ أن ظهر بمستقبله الظافر العظيم بين سائر امم العالم بما طعن به على الاعراب الكافرين به و بقرآنه الكريم[٢٠].

المقاييس الاسلامية:

حينما ظهر الاسلام كان التفاخر بالعنصر و العشيرة متفشياً بين العرب بشدة غير متناهية، و لم يكن العرب يومذاك يفخرون بعروبتهم، اذلم تكن القومية العربية يومذاك تجد نفسها كوحدة تقابل سائر الأقوام و الأُمم، بل كانت الوحدة التى يتعصب لها العربي هى وحدة القبيلة فقط ،فكان يفخر بعشيرته و قومه فقط.

أما الاسلام فانه لم يلتفت الى هذه الأحاسيس المتعصبة بل كافحها بشدة.

فقد قال القرآن الكريم بصراحة تامة: «يا ايها الناس! انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا، إنّ اكرمكم عندالله أتقاكم»[٢١]. فهذه الآية الكريمة و مارافقها من بيان تأكيد من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ما عامل به القبائل المختلفة من العرب و غيرهم، قد بيّن طريق الاسلام فى هذا الأمر بوضوح.

و حينما طرح بعض العرب مسألة العروبة على أثر سلطة الامويين و سياستهم اللااسلامية والتي آثارت العصبيات العنصرية و القومية، قام سائر المسلمين و منهم الفرس الايرانيون بمقاومتها، و كان شعارهم فى ذلك الآية السابقة، و لذلك كانوا يسمون انفسهم بـ «الشعوبية» بمناسبة كلمة: «شعوباً» التى جاءت في هذه الآية الكريمة، و كانوا يسمون انفسهم أيضاً «اَهل التسوية» اي أصحاب المطالبة بالمساواة بين الناس المؤمنين.

و المقصود من كلمة «قبائل» بناءعلى حديث الامام الصادق عليه السلام و بعض المفسرين: هى الوحدات التى تشبه وحدة القبيلة العربية، والمقصود على هذا من كلمة «شعوباً» هى الوحدات القومية التى تكون قد تجاوزت الوحدة القبلية الى وحدة اكبر و اكثر. و على هذا فيكون واضحاً وجه تسميتهم أنفسهم بهذا الاسم، و هذا بنفسه يفهمنا اَن النهضة

---

٢٠ ــ كما تقرأون بعد هذا: أن الحجاز لم يكن ــ فيما عدا القرنين الاولين من الهجرة ــ اكبرالحواضرالإسلامية، بل اخذت تتجلى هذه السمة على جبين مدن كمصر و بغداد و نيشابور و ماوراء النهر و بلدان اخرى، و حمل لواء الإسلام فيها امم غير العرب.

٢١ ــ الحجرات: ١٣.

الشعوبية كانت نهضة مضادة للعصبية العربية، و انها كانت نهضة للدفاع عن الاصول الإسلامية، أو كان أساسها على ما قلناه، و ان كان هناك من جرّ امره الى المضادة مع الإسلام نفسه فلايكون هذادليلاً على أن الشعوبين كانوا أعداء الدين[٢٢].

و قد اعترف جميع المؤرّخين بأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يكرر هذه الجملة يقول:

«ايها الناس! كلكم لآدم و آدم من تراب، لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى»[٢٣]

و يشبّه رسول الله صلى الله عليه و آله الفخر بالأسلاف با كل الجيف و من يشتغل بذلك بالجُعل فيقول: «...ليدعن رجال فخرهم بأقوام، انماهم فحم من فحم جهنّم. اوليكوننّ اهون على الله من الجُعلان التى تدفع بأنفها النتن»[٢٤].

و قد كان صلى الله عليه و آله يرحب بسلمان الفارسى او بلال الحبشى كما يرحبّ بأبى ذرالغفارى اومقداد بن أسود الكندي اوعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم، بل استطاع سلمان آن يتقدم على اولئک بمقياس الكرامة على الله: (التقوى) فنال شرف الوسام النبوي الشريف: «سلمان منا آهل البيت»[٢٥].

و كان صلى اللّه عليه و آله يحذر كثيراً من آن تسري العصبية الى قلوب المسلمين، و هى تحمل لامحالة ردود فعل سيئة.

و قد روى ابوداود فى سننه عن أبي عقبة قال: «كان مولى من آهل فارس قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم (أُحداً) فضربت رجلاً من المشركين فقلت: خذها منى و آنا الغلام الفارسي،فالتفت إلي رسول الله(ص) فقال: «فهلا قلت: خذها منى و أنا الغلام الأنصارى»؟![٢٦]

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «آلا إنّ العربية ليست بأب والد، و لكنها لسان ناطق، فمن قصّر به عمله لم يبلغ به حسبه»[٢٧]

و روى الشيخ الكليني (ره) فى «روضة الكافى» عن آبي جعفر عليه السلام انه قال:

---

٢٢ ــ و سنوضح بعد هذا شأن الشعوبيين و بعض ردو دفعلهم المتطرفة ضد العنصر ية العربية.

٢٣ ــ تحف العقول ص ٣٤ و سيرة ابن هشام ج٢ ص ٤١٢.

٢٤ ــ سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٢١ ط محى الدين و الجعلان: جمع جُعَل على وزن صُرَد، و هو دو يبة تنشأ في القاذورات.

٢٥ ــ سفينة البحار، مادة: سلم.

٢٦ ــ سنن أبي داود ج ٢ ص ٣٣٢.

٢٧ ــ لم آجده فى المعجم المفهرس للحديث./ ط محي الدين.

«كان سلمان جالساً مع نفر من قريش فى المسجدفاقبلواينسبون ويرفعون فى انسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطاب: أخبرنى من أنت و من أبوك و ما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبدالله كنت ضالاً فهدانى الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه و آله، وكنت عائلاً فاغنانى الله بمحمد صلى الله عليه و آله، و كنت مملوكاً فاعتقنى الله بمحمد صلى الله عليه و آله. هذا نسبى و هذا حسبى. قال:فخرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمان (رضى الله عنه) يكلمهم، فقال له سلمان: يارسول الله ما لقيت من هؤلاء جلست معهم فأخذواينتسبون ويرفعون فى انسابهم حتى اذابلغوا إليّ، قال عمر بن الخطاب: من أنت و ما اصلك و ماحسبك؟ فقال: النبى صلى الله عليه و آله: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت له: انا سلمان بن عبدالله كنت ضالاً فهدانى الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه و آله، و كنت عائلاً فاغنانى الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه و آله، و كنت مملوكاً فاعتقنى الله (عز ذكره) بمحمد صلى الله عليه و آله. هذا نسبى و هذاحسبى.فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا معشر قريش! انّ حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه،و أصله عقله؛ و قال الله عزوجل: «انا خلقناكم من ذكروانثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا؛ ان اكرمكم عندالله اتقاكم». ثم قال النبى صلى الله عليه وآله لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل الا بتقوى الله عزوجل، و ان كان التقوى لك عليهم فأنت افضل.

و قد أثر هذا التأكيد من رسول الله صلى الله عليه و آله على خواء العصبيات القومية والعنصرية آثاراً عميقة فى قلوب المسلمين و على الأخص غير العرب منهم؛ و لهذا فقد كان المسلمون ــ العرب منهم و غير العرب ــ يحسبون الاسلام دينهم منهم و لهم؛ دون أن يشعروا بأنه أجنبى و غريب عنهم؛ و لهذا أيضاً لم تولد المظالم الكثيرة النابعة عن العصبيات العنصرية الاموية و العربية سوء نظرة عندالمسلمين غير العرب إلى الاسلام، بل كانوا يعلمون أن لاعلاقة لاعمال هؤلاء الخلفاء الامويين بالإسلام، و لهذا فهم كانوا ينتقدون أعمال الخلفاء هذه لخروجها على المقررات و القواعد الإسلامية.

اسلام الفرس:

توضح مما بيّناه فى المباحث السابقة ما هو المقياس لانْ يكون الشئ اجنبياً او وطنياً قومياً بالنسبة إلى امة ما. و تبيّن أن الاسلام يتصف بالشرط الأول فى عدّ الشئ غير أجنبي و هو أن يكون انسانياً عاماً غير مصطبغ بلون امة خاصة.

و علم أن المقاييس الاسلامية مقاييس انسانية عامة لاقومية و لا عنصرية، و أن الاسلام لم يحصر نفسه فى حدود العصبيات القومية والعنصرية، بل كافحها.

و الآن نريد أن نرى هل أن الإسلام يحمل الشرط الثانى أيضاً أم لا؟ اى هل حظى الإسلام من قبل الفرس بتقبّل و ترحيب ام لا؟ و بعبارة اخرى: هل كان تقدم الإسلام فى

ايران بمحتواه الانسانى العالمى العظيم و أن الايرانيين هم الذين اختاروه لذلک؟ ام ــ كما يزعم البعض ــ كان قد فُرِضَ عليهم كرها واجباراً؟!

و لانقصد أن نقول ان عالمية و أُممية التعاليم الاسلامية، و بعبارة اخرى: ان اصول المساواة و المواساة الاسلامية كانت هى الدافع الوحيدلانضمام الايرانيين الى هذا الدين، اذان الذى دفع بالامم الى الانضمام إلى الاسلام سلسلة من المزايا الفكرية و العقائدية و الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية، و ان التعاليم الإسلامية فطرية و معقولة مفهومة، و ان للتعاليم الإسلامية جاذبية خاصة تجذب بها مختلف الأُمم الى ظلاله. بل نقول: ان المقاييس الاسلامية العامة العالمية هي احدى تلک المزايا التى تشكل جانباً من جاذبية الإسلام للامم، و نحن لا نبحث هنا فى سائر مزايا الإسلام، و انما ننظر هنا إلى هذا الدافع (الجاذب) بمناسبة البحث حول القومية:

يمر اليوم زهاء أربعة عشر قرناً منذ أن ترک الايرانيون عقائدهم السالفة ليتقبلوادين الإسلام. و فى خلال هذه القرون ولدمئات الملايين من الايرانيين على الإسلام و الفطرة ثم قضوا حياتهم فى ظل الاسلام حتى اسلموا انفسهم الى بارئهم و هم مسلمون.

و لعلنا لانجدبين الدول الإسلامية اليوم ــ سوى السعودية ــ دولة يبلغ اكثريتها المسلمة الى ما هوعليه فى ايران، و حتى الدولة المصرية التى تزعم أنها عاصمة الدول الإسلامية ليس فيها ما فى ايران من المسلمين (نسبياً). و لهذا يجدر أن يتضح لناهل كان اسلام الفرس هذا طوال هذه القرون الاربعة عشر عن اجبار و اضطرار؟ ام من اعماق القلوب والأفئدة؟

و من حسن الحظ آن تاريخ الاسلام فى ايران ــ مع كل ما يحاوله المستعمرون من الدسائس ــ واضح بيّن تماماً. ولا بدّلنا هنا ــ كى نعرف القراء الكرام بالحقيقة الموضوعية ــ من أن نتصفح تاريخ ايران فنلاحظ منه كيف كان دخول الاسلام الى هذا الاقليم.

بد ء اسلام الفرس:

يشهد التاريخ: بأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كتب كتباً إلى ملوک دول العالم آنذاک يعلن لهم نبوّته و يدعوهم إلى الإسلام، و ذلک بعد سبع سنين من هجرته صلى اللّه عليه و آله و سلم. و كان احد هذه الكتب كتابا كتبه الى ملک ايران: «خسرو پرويز» دعاه فيه إلى الإسلام، و كان هو الوحيد الذي كتبوا فى شأنه أنه أهان كتابه (صلى الله عليه و آله) و مزّقه[٢٨] و يمثل التمزيق هذا بدوره مدى تفشى الفساد الأخلاقى فى جهاز الحكومة الايرانية آنذاک، إذلم يفعله اى رجل آخر من سائر الملوک و الحكام؛ بل قد آجاب بعضهم كتابه(ص) بهدايا و اجابة محترمة.

٢٨ــ الطبرى ج ٢ ص ٦٥٤ ــ ٦٥٥.

ثم كتب «خسرو پرو يز بن هُرمز بن انوشيروان[٢٩]» الى بادام و اليه على اليمن: آن:
«... ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدين؛ فليأتيانى به...».

و حيث «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و لوكره المشركون»[٣٠] لم يخرج رُسل بادام من المدينة حتى سقط خسرو پرو يز و شقّ بطنه على يدابنه «شيرّروى قباد»[٣١] واَطْلَع رسول الله(ص) رسل بادام على ذلك فخرجوا مذهولين بالخبرالى بادام، وتبيّن صدق النبأ بعد حين. فأسلم بادام و معه ناس كثير من أهل اليمن فيهم كثير من ابناء الفرس فى اليمن، الذين كانوا آنذاك يعيشون هنا لك على اثر واقعة تاريخية تذكر. آنذا لك، و من الطبيعى ايضاً آن يسأل الناس آنذاك: ماهو هذاالدين الجديد؟ و ماهي اصوله و فروعه و ما ذا يقول؟

حتى جاء دور خلافة اَبي بكر و عمر، و فى اواخر عهد خلافة اَبي بكر و هكذا طوال عهد عمرتمّ فتح ايران بأيدي المسلمين، فتعرف الملايين من الفرس على المسلمين من قريب و اخذوا يدخلون فى دين الله اَفواجاً افواجاً.

و ندرج هنا فى كتابنا مقالاً للفاضل القدير و المحقق الخبير الشيخ عزيز عطاردى[٣٢] بعنوان: «متى بدأت خدمات الفرس للاسلام»؟ و قد قسّمنا المقال إلى قسمين نقدم هنا القسم الاول الذي ــ يبحث حول خدمة الفرس للاسلام قبل الفتح العسكري العربي، ثم نوافيكم بالقسم الثانى منه فى الجزء الثانى من الكتاب انشاء الله تعالى.

متى بدأت خدمات الفرس للاسلام؟

بدأت العلاقة بين الايرانيين و الدين الاسلامي من حين ظهوره، وقبل أن يأتى إلى ايران على يد المجاهدين المسلمين ــ اَسلم اَبناء الفرس المقيمون فى اليمن و استسلموا لاحكام القرآن طوعاً و رغبة،[٣٣] و سعوا فى سبيل نشر الشريعة الإسلامية بملء قلوبهم و أفئدتهم، و حتى ضحّى الكثير منهم بروحه فى قتال المرتدين و المعاندين لهذاالدين.

ان موضوع خدمات الفرس فى سبيل نشر الاسلام بحاجة إلى تحقيق طويل، وعلى كل محقق و خبير فى المعارف الاسلامية آن يحقق فى ما يتخصص هو فيه من هذا الموضوع.

ان تاريخ الفتوحات الإسلامية فى شرق العالم و غربه يحكى لنا عن جهاد جماعات

---

٢٩ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٥٤ ــ ٦٥٥. ٣٠ ــ الصف: ٨. ٣١ ــ الطبري ج ٢ ص ٢١٨.

٣٢ ــ الشيخ العطاردى؛ هو من الفضلاء القدير ين و المحققين الخبراء، و قد توصل إلى تصوير كثير من نسخ الكتب الإسلامية الفريدة من المكتبات الهامة الهندية و غيرها. و هو الآن بصدد تحضير كتاب كبير فى تراجم اعيان خراسان قد يبلغ الى أربعين مجلداً. نسأل الله له التوفيق المطّرد.

٣٣ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٥٤ ــ ٦٥٦.

من الايرانيّين ضحّوا بأنفسهم فى سبيل الاسلام اخلاصاً للعقيدة و دفاعاً عنها ضد الاعداء الداخليّين و الأجانب.

و ان انتشار الإسلام فى الدول الشرقية والجنوبية الشرقية كشبه القارة الهندية و باكستان و كشمير و بنگلادش و البنگال، و تركية و البلغار و القفقاز و طاكستان و طاشقند و الأفغان و الصّين و التبّت و ماليز يا و اندونيسيا و جزر المحيط الهندي، كل ذلک من آثار النشاط الاسلامي للايرانيّين الذين حملوا الإسلام معهم عن طر يق التجارة و البحارة إلى أقصى نقاط آسيا، و عرّفوا الأُمم بالاسلام ارشاداً و تبليغاً.

و انّ لمسلمى ايران حظاً كبيراً فى نشر الاسلام فى الدول الافر يقية الغر بية و الشمالية، و فى القارة الارو بية و آسيا الصغرىٰ.

فبعد أن قام الخراسانيون و أهالى النواحي الشرقية من ايران ضد الخلافة الامو ية فاسقطوا حكومتهم التى كانت تحكم المسلمين باسم الإسلام فحسب، و جلس العباسيون على كرسى الخلافة الإسلامية، تقلد الفرس و على الأخص الخراسانيون منهم اكثر المناصب السياسية الدولية والعسكر ية فى الدولة الاسلامية فى الشرق و الغرب.

و المأمون حين رجع إلى العراق من مرو خراسان استصحب معه جماعات من أعيان خراسان فاسكنهم معه فى بغداد، و حيث كان متألماً مما عاملته به عائلته العباسية عزم على نصب هؤلاء فى المناصب الحكومية، ولهذا بعث من اعيان خراسان و سائر نواحى ايران إلى نواحى مصر و أفر يقيا الشماليّة، ليستقروا هناک فيسدوا منافذ الطرق على المخالفين، لاسيّما حيث كانت الدولة الامو ية الثانية قائمة فى الاندلس، اذ كان العباسيون قلقين من قبل هؤلاء، يحاولون أن يوصدوا سبل النفوذ عليهم.

و إنّ التحقيق فى هذه الأُسر المهاجرة التى كان اكثرها من أهالي مرو ونيشابور و هراة و بلخ و بخارى وفرغانة،يستغرق عدة مجلدات من الكتب، و قد ذكر بعض كتب التار يخ و التراجم شرحاً مفصّلاً عن خدمات الفرس فى أفر يقيا الشمالية.

و نحن نثبت هنا فهرساً موجزاً عن نشاط مسلمى الفرس فى فصلين:

الفصل الأول: فى نشاطهم الاسلامي قبل دخول الاسلام الى ايران.

و الفصل الثانى: فى نشاطهم بعد دخول الاسلام الى ايران و دخول الفرس فى الإسلام. و اليكم الآن:

الفصل الاول: فى النشاط الاسلامى لابناء الفرس فى اليمن[٣٤]:

حين ميلاد الرسول الكريم (ص) كانت تعيش فى اليمن وعدن وحضرموت وساحل

٣٤ ــ رأيت التحقيق فى مقال الشيخ العطاردى قليلاً، فحققت الموضوع بنفسى ــ المعرب.

البحر الأحمر جماعات من الفرس الايرانيين، و كان الحكم فى هذه البقاع بأيديهم من قبل اكاسرة ايران.

ولا بدلنا ــ قبل الخوض في الموضوع ــ أن نحقق في علة مهاجرة هؤلاء الفرس من ايران و اقامتهم فى اليمن و ماوالاها، كى ندرک الموضوع بصورة اوضح:

ظهرت الحبشة على بلاد اليمن فى ملک قباد أبي انوشيروان[٣٥] و كان سبب ظهورهم: آن ملک اليمن فى ذلک الزمان: ذانواس ــ و هو الملک السابع و الثلاثين من ملوک اليمن بعد الطوفان ــ كان يهودياً[٣٦] و قد تنصّر بعض آهالى نجران، فقدم عليه يهودي من نجران و شكا اليه: أن نصارى نجران قتلوا ابنين له ظلماً، واستنصره عليهم، فحمى ذونواس لليهودية. فسار اليهم بجنوده من حميرو قبائل اليمن، فجمعهم، ثم دعاهم الى دين اليهودية فخيرهم بين القتل و الدخول فيها، فاختاروا القتل، فجعل يطلب من قال بهذا الدين و يحفر لهم فى الارض حفرة الاخدود، فحرّق بالنار و قتل بالسيف و مثل بهم كل مثلة حتى قتل منهم قريباً من عشرين الفاً حتى أتىٰ عليهم. و فيه قال اللّه تعالى: «قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود إذهم عليها قعودوهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود...» (البروج: ٣ ــ ٧).

فخرج رجل من أهل نجران حتى قدم على ملک الحبشة، فاعلمه ما ركبوا منهم. فكتب ملک الحبشة بذلک الى قيصر، فبعث قيصر اليه بسفن كثيرة يحمل فيها رجاله الى اليمن. فلما قدمت السفن على النجاشى حمل جيشه فيها من بلاد ناصع و الزيلع و هو

---

٣٥ ــ مروج الذهب ج ٢ ص ٧٨ و فى الطبري ج ٢ ص ١٢٣: آن ذلک كان فى زمن أنوشيروان و هذالايصح، اذ ملک الحبشة اليمن اكثر من ثمانين عاماً، و زالوا على عهد انوشيروان لخمس و اربعين من ملكه، (المسعودي ج ٢ ص ٨٢) فلايصح أن يكون ظهورهم فى اليمن أيضاً على عهده.

٣٦ ــ و قد نقل المؤرخون العرب فى سبب تهود اليمنيين بعد عبادة الأصنام: أن تبّع بن حسّان الملک الحادي و العشرين من ملوكهم بعد الطوفان خرج من اليمن الى الحجاز فمر بالمدينة و اراد حربها، فخرج اليه حبران من يهود بنى قريظة بالتوراة و حذراهُ- ان هوحارب المدينة- من عاجل العقوبة و آجلها، فوقع فى قلبه كلامهما فآمن باليهودية، ثم نقلها معه الى اليمن، وتحاكم مع أهل اليمن الى أن يدخل الحبران النار فان لم تحرقهما آمنوا باليهودية، فدخلا النار فلم تحرقهما، فآمنوا باليهودية انتهى. بينما يحكى القرآن عن بلقيس على لسان الهدهد: «انى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله» (النمل: ٢٤) ثم يصرح القرآن الكريم بايمانها بسليمان و حكم سليمان على اليمن، و سليمان من أنبياء بنى اسرائيل اليهود. و يعد المؤرخون بلقيس الملكة بعد عشرة ملوک من بعد الطوفان اي قبل تبع بعشرة ملوک آخرين. اذن فاليهودية سبقت تبع بعشرة ملوک. وكانوا قبل اليهودية يسجدون للشمس لا الاصنام، و حتى لو كانت لهم اصنام فهى كانت تماثيل للشمس و قوى الطبيعة. و الغريب ان لم يتنبّه لهذا ابن هشام ج ١ ص ٢٧ على هامش الروض الانف للسهيلى، و لا اليعقوبي ج ١ ص ١٧١ و لا الطبري ج ٢ ص ١٠٧ و لا أحد المعلقين على طبعات هذه الكتب، مع وضوح الموضوع و قطعيته.

ساحل الحبشة[٣٧] عن طريق باب المندب[٣٨] الى بلاد غلافقة من ساحل زبيد من ارض اليمن[٣٩].

فتظاهر ذونواس بالاستسلام فقبلوا منه وابقواعليه وتفرقوا فى اليمن.

فكتب ذونواس الى كل ناحية بقتل الاحباش فقتلوهم إلاالشريد.

فلما بلغ النجاشى ذلک جهّز اليه اربعة آلاف[٤٠] عليهم قائدان ارياط وابرهة فملک آرياط عدة سنين ثم قتله ابرهة فتملک الحكم ثم تملک بعده ابنه يكسوم، ولما هلک يكسوم ملک اليمن اخوه مسروق بن أبرهة.

فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن و اسمه: معدى كرب ابن الفياض أبي مرة ــ من اليمن يستنجد الملوک. وكان ابوه ابومرة من أشراف اليمن، و كانت امه ريحانة ذات جمال، فانتزعها من أبيه الملک ابرهة الأشرم واستنكحها، فولدت له مسروقاً ابنه، و نشأ معدى كرب بن ذي يزن مع امه ريحانة فى حجر ابرهة، و اعلمته امه: أن أباه ابومرة الفياض، وأنه خرج من اليمن فلحق ببعض ملوک بنى المنذر يستشفع به الى الاكاسرة يستنصرهم، فمات على باب كسرى.

فخرج ابن ذي يزن قاصداً ملک الروم و تجنب الاكاسرة لابطائهم عن نصرة ابيه، ولكنه لم يجد عند ملک الروم مايحب و وجده يحامى عن الحبشة لموافقتهم اياه على الدين. فانكفأراجعاً[٤١] بعد أن أقام قبل قيصر سبع سنين[٤٢] فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر فتشفع به الى خسرو أنوشيروان[٤٣] و ذلک لخمس و اربعين سنة من ملكه[٤٤] فوجّه معه بأهل السجون و وجّه معهم رئيسأيقال له «وهروز»[٤٥] فركبوادجلة إلى أُبلة البصرة ومنها الى اليمن فى البحر[٤٦] وكان عددهم ستمأة رجل، ولحق بابن ذي يزن بشركثير من العرب من حمير والاعراب.

فلما قدم و هروز الى البلدحارب الحبشة فقتل مسروقاً وهرم الأحباش و اقبل حتى دخل صنعاء و غلب على بلاد اليمن و فرق عماله فيها واخرج منها الحبشة.

و كتب إلى انوشيروان: «...انى قد ضبطت لک اليمن واخرجت من كان بهامن الحبشة» و بعث اليه بالاموال.

فكتب اليه انوشيروان يأمره أن يملک سيف بن ذي يزن على اليمن[٤٧].

---

٣٧ ــ المسعودي ج ٢ ص ٧٧.

٣٨ ــ الطبري ج ٢ ص ١٢٧.

٣٩ ــ المسعودي ج ٢ ص ٧٨

٤٠ ــ الطبري ج ٢ ص ١٣٧.

٤١ ــ الطبري ج ٢ ص ١٤٢ ــ ١٤٤.

٤٢ ــ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٣ و المسعودي ج ٢ ص ٨٠.

٤٣ ــ الطبري ج ٢ ص ١٣٩.

٤٤ ــ جاء اسمه فى التواريخ العربية: وَهْرِز، وأظنه و هروزاو بهروز.

٤٥ ــ المسعودي ج ٢ ص ٨٢.

٤٦ ــ المسعودي ج ٢ ص ٨١.

٤٧ ــ الطبرى ج ٢ ص ١٤١ ــ ١٤٢.

فتوج وهروز معدي كرب بتاج كان معه و قفازات من الفضة ألبسه اياها و رتبه على ملك اليمن و خلّف هناك جماعة من أصحابه و خليفة له[٤٨] وكتب انوشيروان اليه: ان ينصرف اليه فانصرف اليه[٤٩].

وعدا سيف على الحبشة حتى أفناها الاقليلاً اتخذهم خولاً و جمّازين يسعون بين يديه بالحراب، فخرج يوماً حتى اذا كان فى وسطهم وجأوه بالحراب حتى قتلوه.

فلما بلغ ذلك انوشيروان بعث اليهم و هروز فى أربعة آلاف من الفرس، فأمّره على اليمن. فكان عليها من قبله يجبيها اليه حتى هلك. و أمّر خسرو بعده ابنه المرزبان بن وهرْوز ــ كما فى الطبري عن ابن اسحاق ــ فكان عليها حتى هلك. فأمّر خسرو بعده ابنه الپنج جان بن المرزبان حتى هلك. ثم امّر خسرو بعده ابنه خور خسرو بن الپنج جان فكان عليها حتى غضب عليه خسرو، فنزعه و بعث بادام[٥٠] الى اليمن، فلم يزل عليها حتّى بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم[٥١].

وعن الكلبى: انه لما بلغ انوشيروان موت و هروز بعث الى اليمن أسواراً يقال له «وين» و ذلك فى آخر ملكه[٥٢] وكان وين جباراً مسرفاً، فلمامات انوشيروان وخلفه ابنه هرمز عزله و استعمل مكانه المهروزان[٥٣] فلما ملك ابنه خسرو پرويز بن هرمز، كتب اليه: أن استخلف من شئت و أقبل إلي، فاستخلف المهروزان ابنه خور خسرو على اليمن و سار فى الطريق و حُمل اليه. ثم بلغه تعرّب خور خسرو و روايته للشعر و تأدبه بأدب العرب، فعزله و ولىّ بادام، و هو آخر من قدم من ولاة الفرس[٥٤].

اسلام ابناء الفرس فى اليمن:

كانت حكومة اليمن حين ظهور الاسلام بيد بادام بن ساسان الفارسي، و قد بدأت بعض حروب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مع بعض القبائل العربية على عهد هذاالرجل. وكان بادام يحكم اليمن من قبل خسرو پرويز ــ كماسبق، فكان حاكماً على اليمن و حضرموت و مراقباً على تهامة والحجاز، و من الطبيعى أن يكون قدأخبر پرويز بما كان يقوم به النبي (ص) وان كنا لا نجد فيما بأيدينا المصادر التاريخية الإسلامية دليلاً على

٤٨ــ المسعودي ج ٢ ص ٨٢.

٤٩ ــ الطبري ج ٢ ص ١٤١ ــ ١٤٢.

٥٠ ــ جاء اسمه فى الطبري: باذان و باذام ج ٣ ص ٨ ــ ٢٢٧ و رجحنا الثانى لوجوده فى الفارسية دون الأول.

٥١ ــ الطبري ج ٢ ص ١٤٨.

٥٢ ــ و قد سبق أن دخول الفرس الى اليمن كان لخمس و اربعين من ملكه، و قد ملك ثمانية و اربعين عاماً كما فى المسعودي ج ١ ص ٢٦٣، فيعلم أن و هروز لم يتملك اكثر من ثلاث سنين.

٥٣ ــ الطبري ج ٢ ص ١٧١ جاء اسمه فيه المروزان، و أظنه: المهروزان.

٥٤ ــ الطبري ج ٢ ص ٢١٥.

ذلک.

و بعد آن توجه رسول الله (ص) من المدينة الى مكة لأداء الحج فصدّه المشركون و صالحهم «صلح الحديبية» فى السنة السادسة للهجرة، بدأ بارسال الرسل والكتب الى ملوک و رؤساء العالم آنذاک[٥٥].

فبعث بكتاب إلى خسرو پرو يز مع عبدالله بن حذافة السهمى، يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهدأن لااله الاالله و آني رسول الله إلى الناس كافة، لينذرمن كان حياً. أسلم تسلم. فان أبيت فعليک اثم المجوس».

او ــ كما عن محمدبن اسحاق:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس؛ سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد آن لا إله إلاالله وحده لاشريک له، و آن محمداً عبده و رسوله. و أدعوک بدعاء الله؛ فانى آنارسول الله إلى الناس كافة، لانذرمن كان حياً و يحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم؛ فان أبيت فان اثم المجوس عليک».

فلما قرأه مزّقه و قال: يكتب إلىّ هذا و هو عبدى![٥٦] و كان الكتاب [قدر] ذراع أُدُم قدّه شتوراً[٥٧]

ثم كتب پرو يز الى بادام:

«...ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندک جَلْدين؛ فليأتيانى به...»

فبعث بادام قهرمانه: پاپو يه؛ و كان كاتباً حاسباً بكتاب الفرس، و بعث معه رجلاً من الفرس يقال له: خور خسرو[٥٨] و كتب معهما إلى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما إلى پرو يز. و قال لپاپو يه: ائت بلد هذا الرجل و كلّمه و آتني بخبره.

فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجالاً من قريش فسألاهم عنه فقالوا: هو بالمدينة. و استبشروا بهماوفرحوا، وقال بعضهم لبعض. ابشروا فقد نَصِب له كسرى ملک الملوک! كُفيتم الرجل!

فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

---

٥٥ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٤٤.

٥٦ ــ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٧ ط نجف.

٥٧ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٥٥. وشتوراً يعني: قِطَعاً

٥٨ ــ جاء اسمه فى الطبري ج ٢ ص ٦٥٥: خرخسرة، وفى المسعودي ج ٢ ص ٨٧: خرخسرو و ورد ضبط حركة: خر بضم الأول، فهو كماذكرنا: خورخسرو و يعنى شمس الملک.

فكلّمه پاپويه فقال: ان شاهنشاه ملك الملوك خسرو قد كتب الى الملك بادام يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك. و قد بعثني اليك لتنطلق معى، فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك ما ينفعك و يكفه عنك. وان أبيت فهو من قد علمت! فهو مهلكك و مهلك قومك و مخرب بلادك!

وكانا قد حلقا لحيتيهما و اعفيا شاربيهما على زي جنود الساسانيين؛ فاقبل عليهما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قال: ويلكما! من أمركما بهذا؟! قالا: آمرنا بهذا ربّنا (يعنيان خسرو) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكنّ ربّي قدأمرنى باعفاء لحيتي و قصّ شاربي» ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتيانى غداً.

و آتى رسول الله(ص) الخبر من السماء: ان الله قد سلّط على خسرو ابنه شيرويه (قباد)[٥٩] فقتله.

فدعاهما فأخبرهما: أن الله سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله ليلة الثلاثاء لعشرليال مضين من جمادى الاولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها ــ كمافى كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدي[٦٠] و فى الطبري عن الواقدي أيضاً[٦١].

فقالا: هل تدري ما تقول؟! انا نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا؛ أفنكتب هذا عنك و نخبر الملك؟ قال: نعم، أخبراه ذلك عنى و قولاله: انّ دينى و سلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، و ينتهى الى منتهى الخف و الحافر. و قولا له: انك ان أسلمت اعطيتك ما تحت يديك و ملّكتك على قومك من الابناء (أبناء الفرس).

ثم اعطى خور خسرو منطقة فيها ذهب و فضة كان قد اهداها له بعض الملوك. فخرجا من عنده حتى قدما على بادام فأخبراه الخبر. فقال: و الله ما هذا بكلام ملك، و انى لأرى الرجل نبيّاً كما يقول؛ و لننظرنّ ما قد قال، فلئن كان هذا حقاً مافيه كلام، انه لنبّى مرسل، و ان لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم يلبث بادام أن قدم عليه كتاب شيرويه (قباد):

«...اما بعد؛ فاني قد قتلت خسرو، ولم اقتله إلاغضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم و تجميرهم (اي حبسهم) فى ثغورهم. فاذا جاءك كتابي هذا فخذلي بالطاعة ممن قبلك، و انظر الرجل الذي كان خسرو كتب فيه اليك فلا تُهجّه حتى ياتيك أمرى

---

٥٩ ــ الطبري ج ٢ ص ٢١٨.

٦٠ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٥٦ و هذا يعنى أنه كانت المدة بين بعث كتاب الرسول (ص) الى كسرى الى حين وصول هؤلاء الرسل اليه: أربعة أشهر و بضعة أيام، من ذي الحجة بعد رجوعه من صلح الحديبية سنة ٦ الى عاشر جمادى الاولى سنة: ٧.

٦١ ــ الطبقات ج ١ ص ٢٦٠.

فيه».

فلما انتهى كتاب شيرو يه الى بادام قال: «ان هذا الرجل لرسول». فأسلم و أسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن[٦٢] و بعث الى النبّى باسلامه و اسلامهم[٦٣].

فجمع له الرسول(ص) عمل اليمن كلها و أمره على جميع مخاليفها (بلدانها) فلم يزل عامل رسول الله(ص) أيام حياته، فلم يعزله عنها و لاعن شئ منها و لا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات بادام (رضى الله عنه) على عهده صلى الله عليه و آله و سلم.

فلما مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه و كان ذلك فى سنة عشر بعد ما حج حجة التمام (الوداع) ففرق عمله بين ابنه «شهرام بن بادام» على صنعاء و غيره من أصحابه على غيرها من بلاد اليمن و حضرموت، و هم ثمانية ما عدا شهرام[٦٤] و ستة آخرين على الصدقات[٦٥].

ردّة العنسىّ و جهاد الأبناء ضدّه:

و لما رجع رسول الله(ص) إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام (الوداع) كان قصد تحلل به السير واشتكى فى المحرم من سنة احدى عشرة، و لم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمر الله و الذبّ عن دينه. فضرب على الناس بعثاً أمّر عليهم فيها أُسامة بن زيد الى الشام، و لكن طارت الأخبار بتحلل السير بالنبى: أن النبّى قد اشتكى، فتخلف الناس عن جيش أُسامة، و اظهر مسيلمة الكذاب امره باليمامة، و الاسود العنسى باليمن، و طليحة الاسدى ببلاد أسد، و سجاح[٦٦] فى قومها من بنى تميم.

و كان الأسود العنسى فى مذحج، فواعدته نجران فوثبوا عليها و أخرجوا منها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص ـ / للذين كانا عليها من قبل النبى(ص) بعد بادام ـ وانزلوا الاسود بها[٦٧] و رجع عمرو و خالد الى المدينة[٦٨] و وثب قيس بن عبد يغوث المرادي على فروة

---

٦٢ ــ الطبري ج ٢ ص ٦٥٤ ــ ٦٥٦ و اليعقوبي ج ٢ ص ٦١ و الاصابة ج ١ فى ترجمة بابويه و باذان. و الكامل ج ٢ ص ٨١ و سيرة دحلان ج ٣ ص ٦٥ و الحلبية ج ٢ ص ٢٨٧ و البحار ج ٢ ص ٥٠٧ ط قديم. و راجع كتاب مكاتيب الرسول ج ١ ص ٩٠ ــ ٩٧ للعلامة الشيخ على الاحمدي دام ظله.

٦٣ ــ الطبري ج ٣ ص ١٥٨ الا أنه ذكر ذلك فى أحداث السنة العاشرة من الهجرة، وهو خطأ.

٦٤ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٢٨.

٦٥ ــ الطبري ج ٣ ص ١٤٧ و ٢٦٧ ــ ٢٦٨.

٦٦ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٥.

٦٧ ــ الطبري ج ٣ ص ١٤٧ و ص ١٨٥.

٦٨ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٠.

ابن مسيك المرادي و هو على المراد من قبل النبي(ص) فأجلاه و نزل منزله. فكتب بذلك فروة الى النبي(ص) و لحق به من بقي على الاسلام من مذحج فنزلوا الاَحسيّة، ولم يطاردهم الاسود[٦٩].

فبينا يعلى بن أُمية بالجَنَد من أعمال اليمن من قبل النبي(ص) و معه عبيد بن صخر، قد أقامهم على ماينبغي و كتب بينه و بينهم الكتب اذ جاءه كتاب من الأسود يقول فيه: «أيها المتوردّون علينا! آمسكوا علينا ما أخذتم من ارضنا و وفّروا ماجمعتم، فنحن أولى به، و انتم على ما انتم عليه...»

ثم خرج الاسود من نجران متوجهاً الى صنعاء حتى بلغ الى بساتين شعوب بظاهر صنعاء، و معه سبعمئة فارس سوى الركبان، و طابقه عوام مذحج. و قائده: قيس بن عبديغوث المرادي.

فخرج لحربه شهرام بن بادام، فقتل شهرام (رضى الله عنه) و هزم الابناء و غلب على صنعاء، و ارتد كثير من الناس، و عامل المسلمون منهم الأسود بالتقية، فأسند أمر الابناء الى پيروز[٧٠] الديلمي و دادويه الاصطخري وتزوج ارملة شهرام: آزاد[٧١] و هي ابنة عم پيروز[٧٢] و جشيش[٧٣] و خرج معاذبن جبل ــ الذي كان قد أرسله رسول الله(ص) ذلك العام إلى اليمن ليكون معلماً للدين يطوف في بلدان اليمن ــ هاراً حتى مرّ بأبي موسى الأشعري ــ الذي كان قد ارسله رسول الله(ص) تلك السنة عاملاً و معلماً على مأرب ــ فنزلا على عكاشة بن ثور الذي كان قد ارسله رسول الله(ص) بعد حجة الوداع عاملاً على السّكاسك و السّكون مما يلي المفازة، و صاهرهم ابوموسى فحدبواله لمصاهرته لهم. و انحاز سائر أمراء اليمن إلى الطاهر بن آبي هالة الذي كان قد ارسله رسول الله (ص) عامه ذلك بعد موت بادام (رضى اللّه عنه) عاملاً على بلادك بحيال صنعاء. والاسود غالب عليهم وهم يعاملونه بالتقية.

فبينا هم كذلك اذجاءتهم كتب النبي(ص) يأمرهم فيها أن يبعثوا الرجال لمحاولة الاسود اولمصاولته، و يبلّغوا ذلك عنه(ص) الى كل من يرجى عنده شيءمن ذلك. فقام معاذبن جبل بذلك[٧٤] و أرسل(ص) رسلاً تسعة من اصحابه إلى قبائل العرب بهذا الامر[٧٥].

و كتب(ص) الى آهل نجران الى عربهم و ساكنيها من غير العرب فتنحّوا عن المرتدين و انضمّوا الى مكان واحد[٧٦].

---

٦٩ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٥.
٧٠ ــ معرّبه: فيروز.
٧١ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٢.
٧٢ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٠.
٧٣ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٢ و ص ٢٣٤.
٧٤ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ ــ ٢٣١.
٧٥ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٧.
٧٦ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٢.

كتاب النبي الى الابناء:

و بعث(ص) وَبَر بن يُحَنِّس الازدي بكتاب إلى پيروز و گشايش[٧٧] الديليميين و دادويه الاصطخري ــ و هم ولاة الابناء من قبل الاسود، تقية ــ يأمرهم فيه بالقيام بدينهم و النهوض فى الحرب و العمل فى الاسود أن يحاولوه اما غيلة و اما مصادمة، و أن يبلّغوا عنه من يرون عنده ديناً و نجدة[٧٨] و أن يستنجدوا رجالاً قد سماهم من بنى تميم و قيس. و أرسل الى اولئك النفر أن ينجدوهم[٧٩].

فنزل الرسول بالكتاب على بنات النعمان بن بزرگ[٨٠] اودادويه الفارسي الاصطخري[٨١] و بعث الى پيروز الديلمى فاستسلم و الى مركبود و عطاء ابنه و وهب بن منبّه فاستسلموا له[٨٢] و فيهم الضحاك بن پيروز و گشايش الديلمى[٨٣] و عبدالله ابنه أيضاً و قيس ابن عبد يغوث المكشوح المرادي[٨٤].

و كان الاسود قد تغير على قيس بن عبد يغوث المرادي ــ و هو قائد جنده ــ فكان قيس خائفاً منه على دمه. فدعاه الابناء و أنبأوه الشأن و ابلغوه عن النبى(ص) فأجابهم.

وكاتب الابناء الناس ودعوهم. فجاءهم كتاب عامر بن شهر و ذي زود و ذى مرّان و ذي الكلاع و ذي ظليم يبذل النصر لهم فى ذلك، وهؤلاء هم الذين أرسل اليهم النبى(ص) رسلاً يأمرهم بنصر الأبناء فى قتال الأسود والمرتدين.[٨٥]

مؤامرة الابناء لقتل العنسى:

ودخل گشايش على ابنة عمه آزاد فأخبرها فوافقتهم ودلتهم على أن ينقبوا بيته فيقتلوه غيلة، فتوافقوا على ذلك.

---

٧٧ ــ ذكر اسمه بالتعريب: جشيش.

٧٨ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ ــ ٢٣١.

٧٩ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٧.

٨٠ ــ الطبري ج ٣ ص ١٥٨ و اللفظ: اسلموا. و قد علم أن اسلامهم كان فى السنة السابعة.

٨١ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٦.

٨٢ ــ الطبري ج ٣ ص ١٥٨.

٨٣ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣١.

٨٤ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٦.

٨٥ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٧.

فجعلوا بينهم و بين أشياعهم شعاراً ثم أذان الفجر. ثم نقبوا عليه فقتله پيروز، فلما طلع الفجر نادى دادو يه[٨٦] او و بر بن يحنّس الأزدي بالشعار ثم الأذان، ثم قالوا: ألا ان الله عزوجل قدقتل الأسود الكذاب[٨٧] ــ ففزع المسلمون والكفار ــ ثم نادوا: يا أهل صنعاء! من دخل عليه داخل فتعلقوا به، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به[٨٨] فلما رأى القوم الذين كانوا مع الاسود ذلك اسرجوا خيولهم ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبناء فارس معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم فيردفه خلفه رهينة لنفسه. فتعلق الناس بهم فحبسوا منهم سبعين رجلاً، وذهبوا هم بثلاثين غلاماً. ثم تبادلوا الرهائن ثلاثين من الابناء بسبعين من المرتدّين.[٨٩]

و تراجع أصحاب النبي(ص) الى أعمالهم، و اصطلح أهل صنعاء على معاذبن جبل فكان يصلى بهم.

وكتبوا إلى رسول اللّه(ص) بالخبر، فأتاه الخبر بالوحي قبل وفاته. فبشر النبي بذلك امته وقال: «قتل العنسى البارحة. قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين» قيل: ومن هو؟ قال: «فيروز. فاز فيروز»[٩٠] او قال: «ان الله قدقتل الأسود الكذاب العنسى. قتله رجل من اخوانكم وقوم أسلموا وصدّقوا[٩١].

وقدمت رسل الابناء بالبشرى وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[٩٢]

ردّة أهل اليمن ثانية وجهاد الأبناء:

وكان قيس بن عبد يغوث المرادي ممن ارتد فى ردة اهل اليمن الاولى مع الأسود العنسى، ولكنه حينما تغيّر عليه الأسود ودعاه الابناء اليهم بدعوة رسول الله(ص) أجاب دعوتهم وساندهم فى قتل الأسود. ثم تراضوا على استعادة معاذبن جبل ليصلى بهم، و بعثوا برسلهم الى رسول اللّه(ص) بالبشرى. و كان قيس بن عبد يغوث مسانداً لپيروز و دادو يه و گشايش فى ولاية الأمور، حتى ولى ابو بكر فأمّر پيروز على اليمن و كتب بذلك الى وجوه أهل اليمن.

فلما سمع بذلك قيس حسد پيروز و رجع الى الرّدة و دعا الناس إلى حرب الأبناء

---

٨٦ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٥.
٨٧ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٩.
٨٨ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٥.
٨٩ ــ الطبرى ج ٣ ص ٢٣٩.
٩٠ ــ الطبري ج ٣ ص ٥ ــ ٢٣٦.
٩١ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٩.
٩٢ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٣٦.

واخراجهم من اليمن واجابه الى ذلك جماعة، فكانت هذه هى ردّة أهل اليمن الثانية.

و بدأ قيس بدعوة ذي الكلاع و أصحابه الى ذلك بكتاب ارسله اليه قال فيه:

«ان الأبناء نزّاع فى بلادكم ونقلاء فيكم وان تتركوهم لن يزالوا عليكم. وقدارى من الرأي أن أقتل رؤوسهم واخرجهم من بلادنا».

فتبرأ ذوالكلاع وأصحابه واعتزلوا وقالوا: لسنا مماهنا فى شيء،انت صاحبهم وهم أصحابك.

وكان بنو لحج الذين كانوا مع الأسود ففروا حين قتل الى الصحراء بين صنعاء و نجران، يصعدون فى البلاد و يصوبون محاربين لجميع من خالفهم. فكاتبهم قيس فى السرّ وأمرهم أن يتعجلواااليه ليكون معهم كى يجتمعوا على نفى الأبناء من بلاد اليمن. فكتبوا اليه بالاستجابة له، واخبروه انهم سِراع اليه.

فاستعد قيس وتربص لقتل رؤسائهم غيلة، فلمادنا هؤلاء الى صنعاء أتى قيس الى پيروز ودادو يه وگشايش متظاهراً بالخوف منهم يستشيرهم ليلبس عليهم فلايتهمونه، فاطمأنّوا اليه. فدعاهم الى طعام من الغد.

فدخل اليه دادو يه فقتله (رضى الله عنه) فلمادنا پيروز ليدخل اليه سمع امرأتين على سطحين تتحدثان قالت احداهما: قتل دادو يه وهذا مقتول كما قتل ذاك . فرجع پيروز. وكان قيس اشرف على مرتفع حتى يرى دنّواللحجية الى البلد فاطلع على رجوع پيروز. فأمر جماعته أن يركضوا خلفه ليدركوه فيقتلوه قبل أن يلحق بگشايش فيخبره و ينجوان. فخرج جماعته يركضون خلف پيروز. و ركض پيروز و تلقاه گشايش فأخبره. و كان اخوال پيروز من خولان فى جبل يدعى باسمهم: جبل خولان، وكان گشايش ابن عم پيروز[٩٣] فتوجها الى جبل خولان فانتهيا اليهم وامتنعا بهم، وهرب كثير من الابناء فلحقوا بپيروز وگشايش، واجتمع اليهما ناس كثير، فامتنعا بهم و عزّا.

واتت خيول الأسود حتى دخلت صنعاء، وطابق قيساً عوام قبائل العرب، فثار بهم على صنعاء فأخذها وجباها وجبى ماحولها.

وعمد الى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق: آقرّ من أقام وعياله. وفرق عيال الذين هربوا الى پيروز فرقتين: فوجّه احداهما الى عدن ليحملوا فى البحر، وحمل الاخرى فى البرّ، و بعث معهم من يسيّرهم. فكان عيال پيروز و گشايش في البر وعيال دادو يه المقتول فى البحر.

وكتب پيروز الى أبي بكر بالخبر.

فكتب ابو بكر الى: عمير ذي مُرّان والى سعيد ذى زود والى سَمَيفع ذي الكلاع والى

---

٩٣ ــ اذ ذكرنا قبل أنهما كانا إبني عم آزاد ارملة شهرام بن بادام.

حوشب ذي ظليم والى شهر ذي يناف[٩٤] والى طاهر بن أبي هالة ومسروق.[٩٥] كتاباً قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الى عمير بن افلح ذي مُرّان وسعيد بن العاقب ذي زوُد وَسَميفع بن ناكور ذي الكلاع وحوشب ذي ظليم وشهر ذي يناف. أما بعد: فاعينوا الأبناء على من ناوأهم وحوطوهم. واسمعوا من فيروز وجدّوا معه، فانى قدوليته».

فأماذو الكلاع فقداعتزل فلم ينصر الأبناء على قيس ولا قيساً عليهم.

و أما سائر الرؤساء فقد بقوا معتزلين أيضاً اذ طابق عوامهم قيساً.

وقام پيروز الى حربه، فأرسل الى بنى عُقيل و بنى عكّ رسولاً يستمدهم و يستنصرهم.

فركبت بنو عُقيل وعليهم معاوية العُقيلى وعك وعليهم مسروق فاعترضوا خيل قيس فقاتلوهم فقتلوهم وتنقّذوا العيال من ايديهم. ثم ساروا بهم إلى پيروز.

فلما اتته امدادهم، خرج بهم ومن كان اجتمع اليه قبلهم من العرب والأبناء إلى صنعاء، فالتقى بخيل قيس خارج صنعاء. فاقتتلوا فهزم الله قيساً فخرج هارباً فى جنده. ودخل پيروز إلى صنعاء بمن كان معه من الابناء وعك وعُقيل وغيرهم من العرب المسلمين.

وقال شعراً يذم فيه قيساً و يفخر بالاسلام يقول فيه:

فما عزّنا فى الجهل من ذي عداوة ... أبى اللّه الا أن يُعزَّ على الجهل

ولاعاقنا فى السِّلْم عن آل أحمد ... ولاخسَّ فى الاسلام اذ أسلموا قبلى[٩٦]

و بعث ابوبكر المهاجر بن أبي امية ــ الذى كان النبي(ص) عينه على بنى معاوية وكندة فمرض وتخلف[٩٧] مدداً لپيروز، وأمره بمعونة الأبناء على من عاداهم من أهل اليمن[٩٨] فكان آخر من فصل من المدينة الى اليمن لقتال أهل الردتين الاولى والثانية. فأخذ على طريق مكة فمربها فاتبعه خالد بن اسيد، ومرّ بالطائف فاتبعه عبدالرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى لاقى جرير بن عبدالله البجلى ــ وكان قد بعثه النبي(ص) الى ذي الكلاع وذي ظليم فى نصرة الأبناء[٩٩] فضمه اليه.

---

٩٤ ــ الطبري ج ٣ ص ٣٢٣.

٩٥ ــ الطبري ج ٣ ص ٣٢٨.

٩٦ ــ الطبري ج ٣ ص ٣٢٢ ــ ٣٢٦.

٩٧ ــ الطبري ج ٣ ص ١٤٧ و ٢٢٨ و ص ٣٣٠.

٩٨ ــ الطبري ج ٣ ص ٢٤٩.

٩٩ ــ الطبري ج ٣ ص ١٨٧.

وكان ابو بكر قد كتب الى عبدالله بن ثور بن اصغر: أن يجمع اليه العرب ومن استجاب له من أهل تِهامة حتى يأتيه الأمر. فحينما لاقاه المهاجر ضمّه اليه. ثم قدم نجران فانضم اليه فروة بن مسيك المرادي ــ الذي كان قد بعثه النبي (ص) على صدقات مراد ومذحج.[١٠٠]

ثم سار المهاجر من نجران إلى اللحجية المرتدة، فلما لاقاهم واحاط بهم دخل على المهاجر قيس بن عبد يغوث ومعه عمرو بن معدى كرب (ولعله هوابن سيف ذي يزن) على غير أمان. فاوثقهما المهاجر و بعث بهما الى أبي بكر وكتب اليه بحالهما.

واستأمنت المرتدة فأبى المهاجر أن يؤمنّهم فافترقوا فرقتين وذهبوا مدبر ين، فلقي المهاجر احداهما بعجيب فأتى عليهم، ولقيت خيوله الاخرى بطر يق الأخابث فاتوا عليهم، وقتل الشرداء بكل سبيل. وقبل توبة من أناب من غير المتمردة، وقتلوا من قدروا عليه منهم، وسار المهاجر من عجيب حتى نزل صنعاء وكتب الى أبي بكر بذلك.

وقدم الرسل بقيس وعمرو بن معدى كرب على أبي بكر، فقال: يا قيس: أعدوت على عباد الله تقتلهم، وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين! فانكر قيس ان يكون هو قتل دادو يه، ولم يكن على ذلك بيّنة، فتجافى عنه.

وقال لعمرو: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم او مأسور؛ لو نصرت هذا الدين لرفعك الله. فقال عمرو: لاجرم، لاقبلّن ولاأعود. فخلّى سبيلها وردّهما إلى عشائرهما.[١٠١]

بينما يعلم الجميع أنهما ارتدا وقتلا جمعاً كثيراً من المسلمين.[١٠٢]

هزيمة الفرس أمام الإسلام:

ان مسألة الصِّدام المسلح للمسلمين مع الدولة الفارسية وانتصارهم عليها، هى مما ابرز عظمة و واقعية الإسلام فى نظر الفرس.

اذ كانت الحكومة الفارسية أيام حروبها مع المسلمين ــ على ما هي عليه من التشتّت والخلل ــ قو ية جدّاً، بحيث لم تكن هناك نسبة متقار بة بينها و بين المسلمين، اذ كانت ايران احدى الدولتين اللتين كانتا تحكمان العالم يومذاك: ايران والروم، وكانت سائر الدول تدفع لهما الضرائب والأتاوات تحت حمايتها، وكان الفرس يومذاك يفوقون المسلمين سواء من

---

١٠٠ ــ الطبري ج ٢ ص ١٨٥ و ص ٣٢٦.

١٠١ ــ الطبري ج ٣ ص ٣٢٨ ــ ٣٣٠.

١٠٢ ــ الى هنا ينتهى ما اعددته من تحقيق حول أبناء الفرس المسلمين فى اليمن ــ المعرّب.

الناحية العسكرية والنظامية او الأسلحة والمعدّات الحربية اومن العدد والعدد وامكانات التغذية والاغاثة والنجدة. ولم يكن المسلمون قد تعرفوا على الفنون الحربية على مستوى الفرس والروم، ولم يكن العرب فى مستوى عال من معرفة الفنون النظامية. ولهذا فلم يكن لاحد أن يتنبّأ بتلك الهزيمة الفارسية النكراء على يدالعرب المسلمين!.

ولقائل أن يقول: ان سبب انتصار المسلمين: هو القوة الايمانية،والأهداف البيّنة، وعقيدتهم برسالتهم التاريخية، واطمئنانهم بالظفر و الانتصار و باختصار: ايمانهم الراسخ بالله و اليوم الآخر.

ولا كلام لأحد فى أثر هذه الحقائق فى تلك الانتصارات؛ اذ أنّ تضحياتهم وما أثر عنهم من الكلام فى تلك الأيام ترينا أن ايمانهم بالله واليوم الآخر و بصدق رسالة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و برسالتهم التاريخية، كان ايماناً لايشوبه نقص، و أنهم كانوا يؤمنون بأنّه لاينبغى بل لايجوز للانسان أن يعبد ما سوى الله، وأنه يجب على الانسان أن ينقذ أخاه الانسان الذي وقع تحت نير عبودية ما سوى الله على أي حال كان. وان ما قالوه من المقالات فى مختلف المقامات بصدد تشريح اهدافهم ترينا انهم كانوا يتقدمون فى طريقهم إلى الظفر والانتصار ببصيرة و وعي و يقظة وتنبّه تام مئة بالمئة، وأنهم كانوا ذوي هدف معيّن يقودون حركاتهم إلى ذلك الهدف المنشود، وأنهم كانوا كما جاء فى وصف الامام أميرالمؤمنين عليه السلام لاصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «وحملوا بصائرهم على اسيافهم».[١٠٣] و ان كان عملاء المستعمرين يقررون هذه النهضة الإسلامية الكبرى و المقدسة فى عداد هجمات الروم و المغول و التتار!.

هذا صحيح؛ الا أن قوة الايمان لم تكن تكفي لتوصلهم الى هذه الفتوحات الكبرىٰ، اذكان من المستحيل أن تقابل فئة قليلة بتلك الاوصاف المعروفة مع الحكومة الساسانية فتزيلها من الوجود.

فقد قتل اصحاب الامام الحسين بن علي عليه السلام مع ما كان لهم من الايمان الراسخ بالله و اليوم الآخر والهدف المقدس، بيد عسكر عمر بن سعد مع ماهم عليه من الخوف والطمع واللاهدفية.

وقد تقدم المسلمون العرب بحروبهم فى بعض نواحى القارة الاوروبية، ولكنهم حينما قوبلوا بمقاومة شديدة توقفت حركة فتوحاتهم فى تلك القارة.

من هنا نعلم: أن من علل انتصار المسلمين هوعدم مواجهتهم بمقاومة جدّية من قبل، الفرس، بل ترحيبهم بهم، وذلك بما ذا قوه من القلق والا ضطراب والخلل فى النظام الداخلى

---

١٠٣ ــ نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٨. معبّراً عن صحابة الرسول (ص).

للدول المفتوحة.

يخمّن بعض المتأخرين من المؤرخين[١٠٤] عدد الآفراد داخل حدود الدولة الفارسية بما يقرب من مئة واربعين مليوناً، وقد كان عدد كثير من هؤلاء من جنود هذه الدولة المترامية. بينما لم يكن يصل عدد جميع المجاهدين المسلمين فى فتوح ايران والروم الى ستين الفاً. وهذا يعنى أنه لو كان جنود الفرس تفرّ للكرّة عليهم وكان المجاهدون يطاردونهم الى داخل الحدود الفارسية كان المسلمون العرب يتيهون فيها و يضيعون!. ومع هذا نرى أن الحكومة الساسانية قد بادت على يد نفس هذه الفئة القليلة نسبياً.

فعلينا أن نفتش عن علة الهزيمة الفارسية فى امر آخر.

الفرس والحكم الفارسي:

والحقيقة أن نرى أن أهم عوامل هزيمة الحكومة الساسانية هو سأم الأمة من نظام الحكم و آدابه و مراسيمه الظالمة و القاسية.

اذ أنّ المؤرّخين الشرقيين والغربيين يسلّمون بأن النظام الحكومي والاجتماعي والدينى الفارسي يومذاك كان فاسداً إلى درجة كان جميع الأمة تكره استمرار الوضع القائم آنذاك.

ولم تكن هذه الكراهية والسخط مسبباً عن حوادث السنين الأخيرة بعد خسرو پرو يز، إذلو كان الناس متفائلين متفاعلين مع أسس الحكم القائم اوالدين السائد لم يسبب سخطهم المؤقت عدم المقاومة حين مقابلة العدو المشترك، بل اذا كانت الروح القومية أو الدينية حيّة نابضة كان الأمرعلى عكس ذلك؛اي كانت الأمة تجمع نفسها للمقاومة المسلحة ــ مهما كانت الاوضاع فاسدة ــ وتترك آنذاك خلافاتها الداخلية لتكون يداً واحدة تدفع العدو عن نفسها. كما رأينا من ذلك الكثير فى التاريخ.

انّ من الطبيعى أن يكون هجوم العدو المشترك سبباً للاندماج الاكثر من الأمة بعضها فى بعض و لنبذ الخلافات الداخلية ولكن يشترط فى هذا أن تكون للأُمة روحُ حيّة تنبع من دينها أوحكومتها. ونرى فى عصرنا الحاضر: أنّ تواجد اسرائيل عدوة مشتركة للأُمة العربية دفع بهم الى محاولة الوحدة مهما أمكن وتجمّع امكانياتهم و وحدة شعورهم واحساسهم مع ما بينهم من كثرة التفرقة والاختلافات والتى يضيفها المستعمرون يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة ــ وهذا مما يدل على تواجد روح حية فى جسد هذه الأُمة.

ان المجتمع الفارسي يومذاك كان مجتمعاً طبقيّاً غريباً مع كل ما لهذه المجتمعات

---

١٠٤ ــ هو الاستاذ سعيد نفيسى فى كتابه الفارسي: تاريخ اجتماعي ايران.

الطبقية من الآثار والعوارض، الى درجة أن كانت تختلف معابد الطبقات بعضها عن بعض، افترضوا أن يفرّق اليوم فى مجتمعاتنا بين مساجد الأغنياء والفقراء، فاي روح ترى يحكم آنذاک على هكذا مجتمع طبقى؟! ولقد كانت هذه الطبقات محصورة محدودة مسدودة بعضها على بعض، فلم يكن يحق لأحد أن يخرج من طبقة ليدخل فى طبقة اخرى، فلم يكن القانون بصفته الدّينية يبيح لأبناء الاسكافيّين مثلاً أن يتعلموا القراءة والكتابة، اذ كان حق التعليم والتعلم مقصوراً على ابناء الأعيان والمؤبدين اي رجال معابد النيران المجوسية.

وقد كان الدّين الزرادشتى ــ مهما كان فى الأصل ــ قد بلغ إلى درجة من الفساد لم يكن يستطيع الفرس معه أن يعتقدوا به بملء قلوبهم، بحيث لولم يكن الإسلام يدخل ايران آنذاک لكانت المسيحية تسخّر الفكر الدينى للأُمة الايرانية بدل الاسلام و بديلاً عن الزرداشتية ــ كما يقول المحققون، فان المسيحيّين هم الذين كانوا يومذاک يتزعمون الحركة العلمية والثقافية فى ايران لاالمجوس، اذ كان الزرداشتيون متعصبين في طقوسهم وتقاليد هم الخاطئة الى درجة لم يستطيعوا معها أن يفكروا فى العلم ولا فى الثقافة ولا العدالة ولا الحرية. وعلى هذا نقول: ان المسيحية اصيبت بدخول الاسلام الى ايران بضرر اكثر من الزرداشتية، اذانها هى التى فقدت الارضية المؤاتية لانتشارها فى ايران.

ان عدم رغبة الجنود الفرس فى دينهم وحكومتهم كان يحفزهم الى أن لايقفوا فى الحروب ضدالعرب المسلمين برغبة وطواعية، بل يساعدونهم فى كثير من الموارد.[١٠٥]

---

١٠٥ ــ يقول محمد القزوينى فى كتابه الفارسي: بيست مقاله: «ان خونة الفرس من أولياء الأُمور و حكام الولايات و محافظى الحدود الايرانية حينما شعر و ابتضعضع فى اركان الدولة الساسانية و هزيمة الجنود الفرس أمام الاسلام مرتين او ثلاثاً، طرحوا بأنفسهم فى حجور العرب المسلمين، و لم يكتفوا بمساعدتهم فى فتوحاتهم فحسب، بل دعوهم إلى الاستيلا على سائر الآراضى الايرانية التى كانت تحت سلطتهم مما لم يكن العرب بعد يدخلونها، و كانوا يقدّمون لهم مفاتيح القلاع و الخزائن ازاء استمرار حكمهم على تلک النواحى التى كانت بأيديهم قبل دخول المسلمين».

و قد نقل القزوينى هذه القضية ذاماً لاولئک الذين كانوا يساعدون العرب المسلمين على النظر في طرق الفتوح و سبل الوصول اليها بينما يجب علينا أن ننظر فى السبب الذى كان قد دعا هؤلاء الى التخلى عن الحكومة الساسانية، و انهم لما ذا كانوا يبصّرون الفاتحين الآجانب ــ كما يقول القوميون ــ بطرق فتح القرى و سبل الوصول الى المدن، فهل كان هذاالغير سخطهم و كراهتهم للدولة الساسانية والدين القائم بحمايتها؟! أم هل كان هذا من دون ايمانهم بأنهم سيجدون الراحة و الحرية و الخلاص باستيلاء المسلمين؟!

يقول المستشرق: ادوارد براون: «... لقد اثبت البروفيسور آرنولد استاذ دارالفنون فى عليگره فى كتابه «فى التعاليم الإسلامية»: أن الفرس انما اسلموا سلماً، بصورة جيّدة. يشير آرنولد فى كلامه هذا إلى عدم انصاف المؤبد الزرادشتى بالحلم والصبر فيقول: ان المؤبدين كانوا يتظاهرون بالتعصّب على المانويّين والمزدكيّين والمسيحيّين «الآگنوستيک» وامثالهم، و لذلک فقد وقعوا موقع الحقد والعداء لجماعات كثيرة من الأُمة الفارسية. ان سيرة المؤبدين الظالمة والقاسية بالنسبة الى أتباع سائر الأديان والمذاهب تسببت فى بعث الشعور بالبغض والحقد الشديد فى قلوب كثير من ابناء الأُمة الايرانية بالنسبة الى دين زرادشت والملوک الذين كانوا يحامون و يدافعون عن ظلم هؤلاء المؤبدين للأمة، و تسببت فى أن يعدّوا استيلاء المسلمين عليهم نجاةً و تحريراً لهم من براثن الظلم».

وهكذا يستمر براون فيقول: «... ومن المسلّم أن اكثر الذين غيّروا عقيدتهم من المجوسية الى الإسلام كانوا بارادتهم و اختيارهم وعن طيب انفسهم. وعلى سبيل المثال نرى أن أربعة آلاف من الجنود الديالمة قد أسلموا بعد حرب القادسية والتحقوا بالمسلمين وساعدوهم فى فتح جلولاء ثم سكنوا فى الكوفة. وهناک اعداد أخر قد اسلموا برغبتهم ورضاهم افواجاً أفواجاً... .[١٠٦]

لقد كان الدين والقانون الفارسى الايرانى آنذاک على ماكان يبعث معه الأُمة الفارسية الى التحضّر النفسىّ لتقبل الدين والحكم الجديد، و عند فتح ايران على أيدي المسلمين نراهم بالاضافة الى عدم اظهار ردود فعل مضادة من قبلهم قد تعبوا كثيراً فى سبيل تقدم الإسلام.

و يقول الدكتور صاحب زمانى: «ليس أن الأُمة الفارسية لم تحسّ مواجهة فى نفسها مع جاذبية الإسلام ونظرته العالمية والأُممية فقط، بل كانوايجدون فى الآمال الاسلامية ماكانوا يشتاقون اليه طوال قرون عديدة بالدموع والدماء والأنفس، وكانوا يحسّون فى قرارة نفوسهم بالعطش الشديد اليه و يضحون فى سبيل الوصول اليه بأنفسهم...»[١٠٧]

و يقول: «ليس إنَّ الأُمة الفارسية فى صدر الإسلام لم تقابل فى مواجهة آمال الدين الجديد بشعارات دعائية خدّاعة غيرواقعية، ولم يكن رسول الإسلام(ص) قد صرّح مراراً يقول: «انما انا بشر مثلكم» و «انما أنا كأحدكم» او «لافضل لاحدكم على احدكم إلا بالتقوى» فقط، بل وجد الفرس سيرة الخلفاء (وان كانوا غاصبين) وعلى الأخصّ منهم الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ابسط مما كانوا هم يأملونه و يريدونه، كحلم من

---

١٠٦ ــ عن الترجمة الفارسية: تاريخ أدبيات ايران ج ١ ص ٢٩٩.

١٠٧ ــ فى كتابه الفارسي: ديباچه راي بر رهبرى ص ٢٥٥.

احلام اليقظة والحقيقة... ونحن نجد احدى هذه المقارنات بين السنن الساسانية والدين الإسلامي الجديد فى لقاء الامام عليه السلام فى منصرفه إلى صفين مع دهاقين مدينة «الأنبار» المتحررين، وقد سبّب هذا اللقاء تقرير احدى ابدع وأوقع خطب الامام عليه السلام التى اثرت عن هذا القائد الذي لانظير له فى تاريخ العالم السياسى عبرة لقوّاد العالم فيماغبر وما هوآت: جاء عليّ حتى مرّ بالانبار، فاستقبله بنوخوش نوشک، راكبين على دوابّهم، فلما قابلوه نزلوا عن دوابهم و أخذوا يشتدون مشياً بين يديه وإلى جانبيه. فقال عليه السلام: ما اردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: خُلق لنا نعظم به الأُمراء. فقال عليه السلام: «والله ما ينفع هذا الأمراء، وانكم لتشقّون به على انفسكم وأبدانكم؛ فلا تعودوا له»[١٠٨]

ثم يقول صاحب زمانى: «كان الإسلام قد أحدث منعطفاً تاريخياً في فلسفة قيادة الجماهير؛فانه يرى أن «الراعي» يجب أن يكون لصيانة «الرعية» «الرعية» لرىّ عطش «الراعي» إلى الدماء!. وكان الإسلام بهذه الفلسفة قدأ صبح نشيداً لتحرير الجماهير. كان الإسلام قد طرح سؤالاً هاماً أمام فلسفة السياسة فى العالم القديم والحكومة الساسانية، هو: هل القائد للناس أو الناس للقائد؟ ولم تكن هذه المسألة الهامة تطرح على الجماهير فَى طوال حروب ايران والروم مدة سبعمئة سنة؛ اذ كانت سياسة كلا الامبراطور يتين سياسة واحدة هى: الناس للقائد، والجماهير للطبقة الممتازة![١٠٩] ولم يكن الموالي والفرس يسمعون بسذاجة و بساطة بلاط أميرالمؤمنين عليه السلام فحسب بل كان بلاطه عليه السلام (ان صحّ التعبير بالبلاط) فى الكوفة على مرأى ومسمع الفرس، فكانوا يرون سذاجته و بساطته بام اعينهم.. ولهذا فلا عجب ولا استغراب اذا لبّت الجماهير الايرانية الفارسية المظلومة والمهضومة والكادحة هذه الدعوة.[١١٠]

تسرّب الإسلام إلى قلوب الفرس:

وكلما كانت الأيام تمضي كانت تزداد محبة الفرس للاسلام و يتركون أديانهم السابقة و يدخلون فى دين الله أفواجاً.

وخير مثال لذلک هو الأدب الفارسي، فكلما كانت الأيام تأتى و تمرّ كان يزداد أثر

---

١٠٨ ــ ديباچه اى بر رهبرى ص ٢٦٧ ــ ٢٧٠ و نقلت النص التاريخى عن كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ١٤٤.

١٠٩ ــ ديباچه اى بر رهبرى ص ٢٧٢.

١١٠ ــ ديباچه اى بر رهبرى ص ٣٢٣.

القرآن والحديث فى الأدب الفارسي، حتى نرى أن تأثيرهما فى آثار الادباء والشعراء وحتى الحكماء منذ القرن السادس الهجرى الى مابعد! اكثرو أشهر مما عند أضرابهم في القرنين الثالث والرابع. وتبدو هذه الحقيقة واضحة من مقارنة أدب الفردوسى والرودكى بأدب المولوي وسعدي والنظامي والحافظ والجامي.

يقول المغفور له بديع الزمان فروزانفر فى مقدمة كتابه (أحاديث مثنوي):

«ان تأثير الحديث فى الشعر الفارسي محسوس مشاهد منذ أقدم القرون الهجرية» ثم يستشهد بابيات من شعر رودكى ثم يقول:

«منذ أواخر القرن الرابع الهجري حينما انتشرت الثقافة الإسلامية، وتأسست لذلك مدارس فى مختلف نقاط بلاد ايران، وغلبتِ الديانة الإسلامية على سائر الاديان، واجهت مقاومة الزرادشتيين فى ايران هزيمة مصيرية نهائية، و بدأت تتجلّى الثقافة الفارسية بالصبغة والصيغة الإسلامية، وتأسست أُسس التعليم على الأدب العربي والدين الإسلامي.. حينذاك اكثر الكتاب والشعراء نقل الالفاظ العربية، وقللوا من الكلمات والأمثال والحكم السابقة (قبل الاسلام) فى النثر والشعر. ونحن نرى أن حكم بوذرجمهر و اوستا و زرادشت ترد فى شعر الفردوسى والدقيقى وغيرهما من شعراء عهدالسامانيّين واوائل الغزنويّين اكثر منه فى شعر العنصري و الفرّخى و المنوچهري فى القرن الرابع و اوائل الخامس الهجرى»[١١١]

و يرينا التاريخ أنه كلما كان الفرس يستقلون سياسياً وادارياً اكثر فاكثر كان اقبالهم على واقعية الإسلام يزداد اكثر فاكثر. ولم يفكّر الطاهريون ولا آل بويه الديالمة الذين كان لهم استقلال اكثر ممن سبقهم من ملوك الفرس، فى أن يبعثوا كتاب اوستا من جديد او يجعلوه منهاجاً لحياتهم! بل كانوا على العكس من ذلك يسعون جاهدين فى نشر حقائق الإسلام.

لقد شكل الفرس بعد مئة عام من الفتح الإسلامي قوة عسكرية عظيمة... و أصبح عامة المسلمين يكرهون جهاز الخلافة الأموية لاجحافه وانحرافه عن تعاليم الإسلام ــ اللهم الا اولئك العرب الذين كانوا متواطئين معهم على العصبية العربية الجاهلية. واستطاع الفرس أن ينقلوا الخلافة من البيت الاموى إلى البيت العبّاسي بقدرتهم العسكرية تلك. فلو انهم كانوا يريدون آنذاك أن يؤسّسوا حكومة سياسية مستقلة اويجددوا دينهم القديم لكان بامكانهم ذلك، ولكنهم لم يكونوا يكفرون آنذاك فى تأسيس حكومة مستقلة فى مقابل الخلافة ولا فى رفض الدين الجديد وتجديد الدين القديم؛ ولكنهم كانوا يتصورون أنهم لو غيّروا محلّ الخلافة من اسرة إلى اخرى نالوا بذلك منتهى آمالهم وهو العيش فى ظل حكومة دينية اسلامية تحت ظلال القرآن الكريم.

---

١١١ ــ أحاديث مثنوي، لبديع الزمان فروزانفر.

وجاء دور بنى العباس فلم يرضوا به حكماً وحاكماً. و وقع فى ضمن هذا الدور حرب بين المأمون بقيادة طاهر بن الحسين مع الفرس من جهة والأمين بقيادة علي بن عيسى مع العرب من جهة اخرى، ولقد برهن انتصار طاهر بن الحسين والفرس على عسكر الأمين على أن القدرة كانت لا تزال مع الفرس آنذاك، ولكنهم مع ذلك لم يفكروا فى الاستقلال السياسي ولا فى رفض دين الإسلام. وانما فكر الفرس فى ذلك حينما يئسوا من الحكومات العربية أن تكون اسلامية واقعية مئة بالمئة؛ و حينذاك قنعوا بالاستقلال السياسي و بقوا على دينهم كما كانوا؛ بل قد أسلم اكثر الفرس فى دور استقلالهم السياسي؛ فقد بدأ الإستقلال السياسي منذ اوائل القرن الثالث الهجري، وكان كثير من الفرس باقين الى ذلك الحين على ما لهم من دين من المجوسية والمسيحية والصابئية وحتى البوذيّه، وان ماتبقى من ذلك الزمان من كتب الرحلة يحكى لنا أنه «كان فى ايران الى ذلك الزمان كنائس و بيوت نيران كثيرة، ثم بدأ عددها يقل شيئاً فشيئاً و يتبدّل كثير منها الى مساجد».

بل يسمى لنا المؤرخون من المسلمين عدداً من الأُسر التى كانت حتى القرنين الثالث والرابع باقية على مجوسيتها و زرداشتيتها، وانها كانت تعيش بين المسلمين بصورة غير مهانة ثم تركت دينها ودخلت فى الاسلام طوعاً و رغبة.

يقولون: ان سامان جدّ الساماني‌ين، الذي كان ينتسب إلى الملوك الساسانيّة، وكان هو من أكابر (بلخ) كان قد أسلم فى حدود القرن الثانى. وأن جدّأسرة قابوس التى تملكت مدّة من الزمان، كان قد أسلم فى القرن الثالث. و أن مهيار الديلمى الشاعر القدير والشهير الفارسي كان قد أسلم فى اواخر القرن الرابع الهجرى.

وان اكثر أهالى طبرستان و شمال ايران كانوا لم يتعرّفوا على الإسلام الى ما بعد القرن الثالث ولذلك فهم كانوا يحاربون عساكر الخلفاء. و بقى اكثر أهالى كرمان الى مابعد عهد الامويين على المجوسية. وكان اكثر اهل فارس و شيراز على عهد الاصطخري[١١٢] من المجوس. وقد ذكر المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم)[١١٣] مجوس فارس ونفوذهم الكبير واحترامهم الكثير عندالمسلمين و أنهم كانوا اكثر حرمة عندهم من سائر أهل الذمة، فكتب يقول: ان المسلمين وسائر الناس كانوا يشاركون المجوس فى هذاالبلد افراحهم بعيد النوروز والمهرجان وكانوا يزينون لذلك أسواق البلد. و يقول عن الأديان فى خراسان: «هناك يهود كثير و قليل من النصارى وأصناف من المجوس».[١١٤] ويذكر المسعودي فى كتابه (التنبيه

---

١١٢ ــ صاحب كتاب: المسالك و الممالك.

١١٣ ــ أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٣٩ و ٤٢٠ و ٤٢٢.

١١٤ ــ أحسن التقاسيم للمقدسي ص ٣٢٣.

والاشراف)[١١٥] عن اسرة محترمة فى اصطخر فارس انه كان لهم كتاب جامع فى تاريخ عهد الساسانيين، وأنه استفاد من هذا الكتاب كثيراً، و يذكر فى ضمن ذلك اسم المؤبد لمعبد النار الكبير فى اصطخر، مما يدل على انه كانت له ميزة وشخصية بحاله من اتباع من المجوسية كثيرين. و يعقد فى كتابه (مروج الذهب)[١١٦] باباً بعنوان: «فى ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها» فيذكر فيه بيوت نيران المجوس، و يذكر من ذلك بيت نار كبير فى (داراب جرد) و يقول: «وهذه النار تسمّىٰ فى وقتنا هذا ــ وهو سنة: اثنتين وثلاثين و ثلاثمائة ــ: آزرجوي، و تفسير ذلك: نارالنهر، و المجوس تعظّم هذه النار بمالا تعظّم به غيرها من النيران و البيوت».

هذا كله يدلنا على ما قلناه من أن الفرس انما دخلوا فى الاسلام تدريجياً، و أن الاسلام انما غلب على الزرداشتية تدريجياً وخصوصاً فى عهود الاستقلال السياسى. و الغريب أنه كان للزرادشتيين فى صدر الإسلام ـ حيث كان دور سيادة العرب ـ حرمة و حرية اكثر من الأدوار المتأخرة التى تملك الأمر فيها الفرس انفسهم، اذ كلما كان يسلم عدد اكثر من الفرس كان المجوس يقعون موقعاً اقل نسبياً مما كانوا هم عليه من الكرامة، اذ كان المسلمون من الفرس يبدون عصبية على المجوس منهم اكثر من العرب عليهم. والظاهر أن نفس هذه العصبيات الفارسية بين المسلمين والمجوس هوالذي دفع بعدد من المجوس للمهاجرة إلى الهند حيث شكلوا الأقلية الفارسية المجوسية هناك.

ولا بأس أن ننقل هنا كلام المستر فراي عن كتابه (ميراث ايران القديم):[١١٧]

«ندرك من المصادر الإسلامية: أن معبد اصطخر المجوسى الذي كان أحد كانوني المجوس فى ايران على عهد الساسانيين (والذي كان ثانيه فى شيز من بلاد آذربايجان) كان باقياً على العهد الإسلامي أيضاً، وانه انما تقلصت شبكة معابد النيران بتقلّص عدد المجوس. ومع هذا فقد وفى (جمع من) أهل فارس لدينهم القديم الزرادشتى إلى القرن العاشر الميلادي، بل كان يعيش من بَعد ذلك أيضاً جمع كثير من أهل فارس على المجوسية حتى اوج التوسّع السلجوقى فى القرن الحادى عشر الميلادي. وفى ايدينا شرح جميل عن التدافع الواقع بين المسلمين والمجوس فى مدينة كازرون فى زمن ابي اسحاق ابراهيم بن شهر يار الكازرونى مؤسس احدى فرق الصوفية والمتوفى ١٠٣٤ ميلادية. وقد أسلم كثير من المجوس بهداية هذا الشيخ، ولكنه يظهر من هذا الكتاب (معجم البلدان) و غيره أن مكانتهم لم تزل مستمرة. والقصة: أن عامل كازرون على عهد البويهيين، الذي كان آنذاك يحكم من هناك على جميع بلاد فارس (شيراز) كان مجوسياً يسمى خورشيد، وكانت له حرمة لدى حاكم شيراز الى درجة أنه أمر هذا الشيخ الصوفى

١١٥ ــ التنبيه و الاشراف للمسعودي ص ٩١.

١١٦ ــ مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٥٣.

١١٧ ــ الترجمة الفارسية ص ٣٩٦.

المسلم ان يحضر لدى حاكم شيراز ليسمع منه العتاب على ما سببّه من البلبلة فى البلد بين المسلمين والمجوس (ص١١٧ــ ص١٢١) وكان المسلمون والمجوس هم عمدة الطوائف الفارسية بينما كان اليهود والنصارى قليلين جداً.

و يقول فى (ص ٣٩٩): «كان كلما زيد فى الفكر الإسلامى نمت حركات مختلفة كالتشيّع[١١٨] والتصوف، وفى ذلك كان يجد الفرس الذين لم يستطيعوا الاقتناع بالفكر الزرادشتى الواطئ : متّسعاً و ملاذاً. وحينما أسلم الحكام الديالمة وتشيعوا واستولوا على البلاد حتى دخلوا بغداد (٣٣٤هـ = ٩٤٥م) زالت معالم المجوسية من البلاد الفارسية، فقد أسلم آل بويه و اختاروا العربية على الفارسية، اذ كان للاسلام والعربية آنذاك صبغة عالمية (لاعربية ضيقة) فى حين كان المجوس قدلجأوا الى مواطن خاصّة بهم. و يبدو أن آل بويه كانوا يتصفون أمام سائر المذاهب بالتسامح والتصبّر، اذ كانوا يبقون على الخلفاء السنّة وكثير من عمالهم على أعمالهم كما كانوا من قبل، بل كانوا يبقون و يستعملون عمالاً غير مسلمين فقد كان عامل كازرون ــ كما ذكرنا من قبل ــ مجوسياً. وقد كانوا يبدون الحب والتعاطف مع شعائر البيت العلوى (عليهم السلام) والثقافة الإسلامية اكثر من ذلك بالنسبة إلى عظمة الفرس السابقة؛ ومن ذلك: أن عضدُالدولة مرّ بشيراز (٣٤٤ هـ = ٩٥٥م) على (تخت جمشيد= پرسپوليس) فأمر أن يحفر على صخوره كتيبة عربية (بينما كان بامكانه أن يأمر بحفرها بالفارسية بل وحتى البهلوية).

فما هو السبب الذي كان يدفع بالفرس بعدعدة قرون من زوال السيادة العربية عنهم الى أن يبدوا من أنفسهم اتّجاهاً اكثر الى الإسلام؟ وهل يمكن أن يكون ذلك شيء آخر سوى جاذبية الإسلام وانسجامه مع الروح الفارسية؟!

بل كانت الحكومات الفارسية المستقلة ــ والتى كانت من حيث السياسة معادية للحكومات العربية ــ تحافظ على الإسلام و تؤيده وتنشره وتشجّع علماءه اكثر من نفس الحكومات العربية المسلمة، وكان الفرس يساعدون العلماء في تصنيف و تأليف الكتب الإسلامية وتعليمها اكثر من غيرهم.

ان ما أبداه الفرس من النشاط للاسلام والعلوم الاسلامية طوال اربعة عشر قرناً من تاريخ الإسلام ــ وحتى فى القرنين الاوّلين اللذين يسميها «السير جان ملكم»: «قرنان من الصّمت»! ــ مما لانظير له لا فى المسلمين ولا فى الفرس انفسهم: أما فى المسلمين فذلك حيث لم تبدأية امة سوى الفرس مثل ما ابداه هؤلاء من النشاط والحب والتعاطف والخدمة

---

١١٨ ــ حركة التشيع هى نفس حركة الإسلام فى الواقع و لا فرق بين الإسلام و التشيع فى الحقيقة، فالإسلام الحق و الواقعى هو التشيع ــ كما نعتقد نحن الشيعة. انظر: التشيع و الإسلام، للشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) و على والشيعة للمغفورله العلامة الشيخ نجم الدين العسكرى (ره)ــ المعرب.

والاخلاص للإسلام؛ وأما فى الفرس فحيث لم يبد الفرس على أي عهد وفى اي دور آخر ومن أجل اي هدف آخر دينى او قومي مثل ما ابدوه من النشاط والخدمة للاسلام.

انهم كانوا يستطيعون أن يعيدوا دينهم وتقاليدهم وطقوسهم القديمة بعد استقلالهم السياسي من دون اي مزاحم او معارض، ولكنهم لم يفعلوا ذلک، بل اعرضوا عن دينهم الفارسي واقبلوا على الإسلام اكثر من ذي قبل؛ فلما ذا ؟! ذلک: لانهم كانوا يرون الإسلام منسجماً مع افكارهم و عقولهم وميولهم الفطرية؛ و لذلک فهم لم يفكروا أبداً فى تجديد دينهم الذي كان يسبّب لهم عذاباً روحيا طوال قرون عديدة. وهكذا بقيت الأُمة الايرانية بشهادة التاريخ طوال اربعة عشر قرناً من تاريخ دخول الإسلام الى هذا البلد. واذا رأيتم أفراداً معدودين معلومي الهوية يتكلمون اليوم عن تجديد الدين والمراسيم الفارسية القديمة فى هذه الأيام او قبيل هذا، فلاينبغى أن نعدّ هؤلاء على حساب الأُمة الايرانية كلّها اوجلّها، اذ ان الفرس قد ابدوا واثبتوا مراراً أنهم كانوا ــ ولايزالون ــ يرون الإسلام اوفق فى فكرهم و روحهم من اي فكر اودين آخر؛ والدليل على ذلک هوتلک الخدمات المخلصة التى اسداها هؤلاء طوال اربعة عشر قرناً إلى القرآن والإسلام، خدمات مخلصة مؤمنة.

وسنشرح نحن فى الصفحات التالية بياناً ــ جامعاً تقريباً ــ عن بعض خدماتهم العظيمة، حتى يعلم الجميع كيف أن الأُمة الفارسية أسلمت بملء قلوبها حيث رأته منسجماً مع عقلها وفكرها، وأنه يشبع حاجاتها الوجدانية والفطرية.

وهذه حقيقة تذكرنا بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اذكان يقول:

«ليضربنكم والله على الدين عوداً، كما ضربتموهم عليه بدءاً».[١١٩]

* * *

وقد حدث فى ايران أمران سبّبا مغالطة طائشة بأقلام عدد ممن يعلمون او لايعلمون؛ حيث عدّوهما نوعاً من المقاومة وردّ الفعل الفارسي المعاكس أمام الإسلام او العرب على الأقل. وهما: تجديد اللغة الفارسية، واحياء المذهب الجعفري الشيعى.

---

١١٩ ــ الغارات ج ٢ ص ٤٩٩ ط الارمو ى. و من حسن الحظ أن من قام يتكلم عن تجديد الدين و الرسوم الفارسية القديمة منذ صدر الإسلام الى اليوم، قوبلوا من قبل الامة الفارسية نفسها بردفعل عنيف؛ حتى أن بهافريد، وسناباد، وبابک، ومازيار، قتلوا بايدي أبي مسلم الخراسانى وافشين الفارسي والعسكر الفارسي العباسي. و لكنّا لاندري لأمرما تغضي عيون المستعمرين عن مكافحى الحركات الفارسية المجوسية، و لا ترى سوى بابک واضرابه، فلا يعدون من الفرس إلاهذا و أشباهه دون قاتليهم و مكافحيهم من الفرس دفاعاً عن الإسلام. و بابک! هو الذي حينما فرّالى جبال ارمينية ركب اليه سهل بن سنباط صاحب المسلحة هناک، فلما رأى وجه بابک عرفه و قبل يده و قال له: «.. كل من هاهنا من البطارقة انما هم اهل بيتک قد صارلک منهم اولاد» و ذلک أن بابک كان اذا علم أن عند بعضهم من النساء امرأة جميلة طلبها، فان بعث بها اليه و إلاسار اليه فأخذها و نهب ماله و عاد» (الكامل ج ٦ ص ٤٧٣) ط بيروت ١٩٦٥م.

ولهذا فيلزمنا أن نبحث نحن حول هاتين الظاهرتين اللتين ترتبطان بلغتنا ومذهبنا الرسميّين، بمقدار ما يرتبط من البحث حولهما بما نحن بصدده.

أما اللغة الفارسية:

فهي مما تحجّج به بعض المغرضين على أن يتهموا الاسلام أنه دين اكره عليه الفرس الايرانيون؛ اذ قالوا: ان الفرس حافظوا على لغتهم طوال هذا التاريخ ولم يتركوها تتحلّل فى اللغة العربية!.

عجبا! فهل يستلزم التدين بدين أن يترك الانسان لغته ليتكلم بلغة ذلك الدين؟!

وفى اي آية او رواية ورد مايدل على هذا؟!.

بل لامعنى لخصوص اللغة فى دين عالمى كالإسلام، ولم يكن يخطر ببال الفرس أن يكون الاسترسال والاستمرار على لغتهم مخالفاً لاصول الإسلام او فروعه. ولم يكن ينبغى أن يخطر ذلك على بال.

لوكان احياء اللغة الفارسية من اجل مكافحة الإسلام فلماذا أتعب هؤلاء انفسهم فى احياء اللغة العربية أيضاً ببيان قواعدها الصرفية و النحوية والاشتقاقية، والمعانى والبيان والبديع، وفنون الفصاحة واساليب البلاغة؟ بل لم يخدم اللغة العربية احد كما خدمها الفرس. ولوكان احياء اللغة الفارسية من أجل مكافحة الإسلام او اللغة العربية، لكان ينبغى للفرس أن يكتبوا بدل هذه الكتب الكثيرة فى اللغة العربية وقواعدها وفصاحتها كتباً للغة الفارسية، او أن يكفوا عن اشاعة هذه اللغة العربية على الأقل.

بل اقول: ان عناية الفرس بلغتهم لم تكن للمضادّة مع الإسلام او اللغة العربية، بل لم يكن الفرس يحسبون هذه اللغة العربية لغة أجنبية، اذانهم لم يكونوا يعدون العربية لغة العرب فحسب بل لغة الاسلام والمسلمين عامة، وحيث كانوا يرون الإسلام ديناً عالمياً أُمياً كانوا يرون اللغة العربية أيضاً لغة اسلامية أُمية عالمية تتعلق بجميع المسلمين فى العالم أجمع.

والحقيقة: انه لوكان سائر اللغات كالفارسية والتركية والانجليزية والفرنسية والألمانية لغات اقوام وأُمم خاصة، فان اللغة العربية ليست إلّالغة كتاب عالمى فقط! اذ أن اللغة الفارسية لغة تتعلق بأُمة خاصة، يشترك عدد غيرمحدود من الأفراد فى بقائها واستمرارها، بحيث لولم يكن كل واحد من هؤلاء وحده لما كان يؤثر فى سقوط هذه اللغة وموتها، فاللغة الفارسية ليست لغة احد منهم خاصة ولاكتاب خاص وحده، فليست لغة الفردوسى فحسب، ولالغة الرودكى فقط ولالغة النظامى لاغير، ولالسان سعدى فحسب، ولالغة حافظ الشيرازي و لا أي شخص آخر، بل هى لغة الجميع... بينما اللغة العربية ليست إلالغة كتاب واحد هو «القرآن الكريم» فالقرآن وحده هو حافظ هذه اللغة و عامل أساس فى بقائها و استمرارها، و كلما وجد بعد القرآن بهذه اللغة فانما هو فى ظلال القرآن و من أجله، فعلوم

القواعد انما وجدت للقرآن و من اجله، و كل من كتب لهذه اللغة و كتب بها فانما هو للقرآن، و ما ترجم اليها من الفلسفة و التاريخ والطب و الرياضيات والحقوق فانما هو للقرآن... اذن فالحق: أن العربية لغة كتاب و ليست لغة قوم او أمة.

وان كنا نجد فى تاريخ امتنا افراداً من كبارها يقولون بحرمة اكبر واكثر لهذه اللغة عن لغتهم الأُم، فانما ذلك من أجل أنهم كانوا لايرون هذه اللغة خاصة بقوم فقط، بل كانوا يرونها لغة دينهم وعقيدتهم، ولذلك فهم لم يكونوا يحسبون هذا الترجيح اهانة إلى امتهم او قوميتهم. ان شعور افراد الأُمم غير العربية كان يحس بأن اللغة العربية لغة دين، والفارسية لغة أم وقومية.

وقد قال المولوى المثنوى فى قصيدته الشهيرة شعراً بالعربية يقول فيه:

«اقتلونى اقتلونى ياثقات انّ فى قتلي حياة فى حياة»

ثم يقول ما معناه:

«تكلم بالفارسية، وان كانت العربية أحلى. فللحبّ لغات مئات».

وانما يرجح المولوي اللغة العربية على الفارسية لانها لغه دينه الاسلام.

وحكى سعدي الشيرازى فى الباب الخامس من «گلستان» محاورة له مع شاب من شباب «كاشغر» كان يقرأ «مقدمة الزمخشرى» فى النحو، يقول فيها عن الفارسية أنها لغة عوام الناس، وأما العربية فهى لغة أهل الفضل والأدب.

و يقول حافظ الشيرازي فى غزله المعروف مامعناه:

«ان فمى مُلِسئ من العربية وان كان لسانى ساكتاً، اذ كان اظهار الفضل عند «الصاحب» من سوء الأدب».

وقد كتب المرحوم القزويني فى كتابه «بيست مقالة» يقول: كان احد الحمقى والمغفّلين ــ الذين لايقلون اليوم ببركة المستعمرين ــ يعتب على حافظ دائماً لشعره هذا حيث حسب فيه اللغة العربية فضلاً وأدباً وفنّاً!.

وسبق أن قلنا ان الإسلام لايختص بقوم او أُمة خاصة حتى يعترف برسمية لغتها ويحذف سائر اللغات عن ديوان الرسمية!

وقد نقل المسعودي فى «التنبيه والاشراف»: أن زيدبن ثابت كان قد تعلم اللغات: الفارسية والرومية والقبطية والحبشية ممن كان من أصحاب هذه اللغات بالمدينة، فكان مترجماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندالحاجة.[١٢٠]

ان ديناً يرتبط بجميع البشر لايمكنه أن يعتمد على لغة خاصة، بل لكل امة أن تعتنق الإسلام بمالها من لغة وكتابة من دون أن يكون ذلك مانعاً اورادعاً لها عن دخولها فى هذا

١٢٠ ــ التنبيه والاشراف ص ٢٤٦ بيروت ١٣٨٨.

الدين، وانما لغتها وكتابتها مظهر لنوع من الفكر والذوق والسليقة.

اذن: فلا عجب ولا استغراب اذا ما رأينا أنّ الفرس تكلّموا بالفارسية حتى بعد دخولهم فى الإسلام. بل لا ربط لاحد هذين بالآخر ربطاً يجعل منه المغرضون علامة على عدم علاقة الفرس بالاسلام علاقة قلبية!

وليس اختلاف الالسنة مانعاً عن اعتناق الإسلام، بل ان ذلک من طرق تقدمه؛ اذ لكل لسان امكانياته الخاصة فى الخدمة الى الاسلام والمسلمين لا تحصل إلابها، وهذا من جملة ماحصل لهذا الدين من أسباب التوفيق والاطراد والتقدم، حيث اعتنقته امم مختلفة بألسنة وثقافات متفاوتة، فخدمه كل قوم منهم على اختلاف لغاتهم.

ولو كانت اللغة الفارسية مندثرة تحت اللغة العربية لما كان لنا اليوم ماهو لنا من آثار قيّمة هى قمة الأدب الإسلامي: كالمثنوى والنظامى وسعدى وحافظ، ومئات من الآثار الاخرى، مما تتموج فيه المفاهيم الاسلامية والقرآنية، ومما ربط بين القرآن والإسلام وهذه اللغة ربطاً خالداً.

وما أحسنه لو كانت هناک لغة اخرى ماعدا العربية وسوى الفارسية، كى تستطيع أن تقوم هى أيضا ــ بمالها من خصائص خاصة بها ــ فى خدمة الإسلام.

هذا أولاً.

وثانياً نقول ونسأل: من هم الذين احيوا الفارسية ومن أحياها؟!

فهل كان الفرس هم الذين احيوا هذه اللغة ام كانت هناک عناصر غير فارسية قد أثرت فى ترک سائر اللغات وترجيح الفارسية بما لا مزيد عليه!! وهل كان السبب فى احياء الفارسية هوالشعور القومى الفارسي والوطنى؟! أم سلسلة من العوامل السياسية لاربط لها بقومية الفرس أبداً؟!.

وقد كان بنو العباس ــ وهم عرب ــ يحاولون اشاعة اللغة الفارسية اكثر من الفرس انفسهم، وفقاً للشواهد التاريخية؛ وذلک لانهم كانوا قد سلكوا فى سياستهم ضدّ سياسة بنى أُمية التى كانت سياسة عربية مبنية على أساس تفوق العرب على غيرهم. ولهذا نرى أن العنصريين من العرب اليوم يجلّون سياسة بنى امية بينماهم ينتقدون سياسة بنى العباس المضادة للعروبة.

كان بنو العبّاس يضادّون العروبة وكل ما يوجب تفوق العرب على غيرهم، وذلک مضادةً لبنى امية الذين كانت سياستهم مبنية على أساس القومية والعنصرية العربية. فكان بنو العباس يؤيدون العنصر غيرالعربى وكل ما يسبّب خروجهم عن سيطرة العرب عليهم. ولهذا فهم اخذوا ينشرون اللغة الفارسية بل يناوئون اشاعة العربية بينهم!.

فقد كتب ابراهيم الامام مؤسس الاسرة العباسية الى أبي مسلم الخراسانى يقول!

«ان استطعت أن لا تدع احداً يتكلم بالعربية فافعل، بل اقتل من لم يطعک فى

ذلک»![١٢١]

و يقول المستر فراي فى كتابه: «باعتقادي أن العرب هم ساعدوا بأنفسهم اشاعة اللغة الفارسية فى المشرق، و أن هذه المساعدة العربية الحكومية هى التى سببت سقوط اللغة السغُدية وغيرها من اللهجات فى تلک البلاد»[١٢٢]

وكتب المرحوم العلاّمة الخيابانى فى ريحانة الأدب يقول: «حينما دخل المأمون العباسي الى خراسان سنة ١٧٠هـ، وأخذ أفاضل تلک النواحى يتقرّبون اليه بمدحة اوخدمة له، تقدم اليه ابوالعباس المروزي ــ الذي كان ماهراً فى النطق بكلا اللسانين ــ بمدحة ملّمعة مخلوطة من الفارسية والعربية، وأنشدها أمام المأمون فوقعت منه موقع القبول وأجازه بألف دينار سنوياً. فرغب الفرس فى هذه الطريقة الملّمعة وسلكوا سبل الشعر والنظم الفارسي بعد أن كانوا قد تركوها.[١٢٣]

ونرى من ناحية اخرى أن هناک الكثير من الفرس الايرانيين المسلمين الذين لم يبدوا من أنفسهم أية رَغبة فى الفارسية: كالطاهريين والديالمة والسامانيين، الذين لم يسعوا فى سبيل تقدم اللغة الفارسية اي سعى، بينما نرى أن الغزنويّين ــ وهم غير ايرانيين ــ هم الذين احيواالغة الفارسية من جديد.

يقول المستر فراي: «نحن نعلم أن الطاهريين كانوا يودّون استعمال العربية فى بلاطهم فى نيشابور، وأن بعض اولادهم كان قد اشتهر بفصاحته فيها»[١٢٤]

وقد نقلنا قبل هذا كلام هذا المستشرق فى شأن عربية الديالمة، حيث نقل أن عضدالدولة أمر بالكتابة بالعربية على صخور (پاسارگاد: تخت جمشيد).

وكان السامانيّون ــ كما قالوا ــ من نسل بهرام چوبين القائد الساساني المعروف

---

١٢١ ــ احاله الاستاذ المؤلف على الخطط المقريزية، من دون تعيين الموضع، و أنالم اجده فى مظانّه، فراجع.

١٢٢ ــ نقلاً عن الترجمة الفارسية: ميراث باستانى ايران.

١٢٣ ــ من أبيات هذه القصيدة قوله:

اي رسانيده به دولت فرق خود بر فرقدين
گسترانيده به فضل وجود بر عالم يَدَين.
مر خلافت را تو شايسته، چو مردم ديده را
دين يزدان را تو بايسته، چو رخ را هردوعَيْن.
كس بدين منوال پيش از من چنين شعري نگفت
مرزبان فارسي راهست با اين نوع بَيْن.
ليک از آن گفتم من اين مدحت تو را تا اين لغت
گيرد از مدح و ثنای حضرت تو زيب و زَيْن.

كما فى ريحانة الأدب ج ٧ ص ١٨٩ ط ٣ للمرحوم العلاّمة الخيابانى.

١٢٤ ــ عن الفارسية: ميراث باستانى ايران ص ٤٠٣.

وكان هؤلاء من احسن سلاطين ايران اسلاماً وعدلاً. وكانوا يبدون من انفسهم علاقة شديدة بالنسبة الى الشعائر الاسلامية.

وقد نقل المرحوم القزويني في مقدمة كتابه «أحاديث مثنوي» و هو يشرح التسرب التدريجي للأحاديث النبوية في جميع الشؤون العلمية و الأدبية الاسلامية، نقل عن كتاب «الانساب» للسمعاني أنه كتب بشأن اسماعيل بن أحمد السامانى مؤسس اسرة «السامانية» يقول: «وقصصه في الغزو والعدل وحرمة أهل العلم وتقويتهم مشهورة معروفة»[١٢٥].

لم يحاول السامانيون ــ وهم فرس اقحاح ــ أن يشوقوا الفرس و يروجوا فيهم الفارسية أبداً، ولم يبدأي واحد من وزرائهم اية علاقة بالنسبة الى الفارسية كما كان الديالمة كذلك أيضاً.

بينماترعرعت الفارسية ونضجت في بلاط الغزنويين، وهم اتراك سنة!.

وهذا كله يوصلنا إلى القول بأن هناك عوامل اخرى غير العصبيات القومية تدخلت في احياء وابقاء اللغة الفارسية.

وقد كان الصفاريون يعتنون بالفارسية اكثر من غيرهم، افهل كان هذا نوعاً من العصبية الفارسية ضد العربية؟ أم من شيء و أمر آخر؟

يقول المستر فراي: «لعل الصفاريين هم اول من اعتنى باشاعة الفارسية الجديدة، وذلك: لأن يعقوب بن الليث الصفار لم يكن يعرف العربية فكان ــ كما يروي المؤرخون ــ يود أن يمدح بلغة يفهمها بنفسه من دون مترجم»

و على هذا فيكون السبب في عناية الصفاريين بالفارسية جهلهم بالعربية.

و بعد أن يتعرض المستر فراي لنهضة فارسية جديدة ممزوجة بالعربية على عهد السامانيين يقول: «... لم ينشأ الأدب الفارسي الحديث من ثورة على الاسلام او العربية، وان ما كان يأتي في الشعر الفارسي في ذلك العهد من المضامين الزرادشتية انما يرتبط بالاسلوب السائد آنذاك، ولاينبغي أن يؤخذ ذلك علامة على ايمان اولئك الشعراء بالزرادشتية. فقد كان هؤلاء يأسفون على مافات من دون أن يكون ذلك نابعاً من شيء سوى من عواطف ذات حساسية خاصة دون ايمان بمافات في القديم، بل لم يكونوا يؤدون او يفكرون في الرجوع إلى ذلك القديم. ان الفارسية الجديدة آنذاك كانت تزاحم العربية كلغة اسلامية اخرى لامناوئة لها، اذلاشك في أن الإسلام آنذاك كان قد استغنى عن الاعتماد على العربية، اذ كان قد دخلت في الإسلام امم كثيرة، وكان الإسلام قد اصبح

---

١٢٥ ــ الأنساب السمعاني ج ٧ ص ٢٥ الهند.

ذاثقافة عالمية أُممية، وكان للفرس فى ادارة قسم من هذه الثقافة دور كبير».

وكتب المسترفراي تحت عنوان «بدء الحياة الحديثة فى ايران» وهو يحاول دراسة تأثير الكلمات العربية فى اللغة الفارسية يقول: «للغّة فى دوام بعض الثقافات أهمية اعظم من أثر الدين او المجتمع، كما يصح هذا الأصل بالنسبة الى الثقافة الفارسية الايرانية، اذ لايمكن التشكيك فى رابطة الفارسية الساسانية مع الفارسية الاسلامية، مع أنها ليساشيئاً واحداً تماماً. والفرق الكبير بين هذين هوورود كثير من الكلمات العربية فى الفارسية الحديثة، حيث قوت هذه الكلمات اللغة الفارسية وجعلتها اكثر عالمية بينما لانجدلها مايشبه ذلک على عهد الفارسية الاولى (البهلوية). فحق أن العربية اغنت الفارسية الجديدة غناء كثيراً، مما جعلها قادرة على انشاء أدب متفتح وخصوصاً فى الشعر والنظم، كما رأينا أن الشعر الفارسي بلغ اوج جماله ولطفه فى اواخر القرون الوسطى. وقد سلكت الفارسية الجديدة مسلكاً كان قواده جماعة من الفرس المسلمين الذين كانوا قد مهروا فى العربية قبل أن يدخلوا حلبة الأدب الفارسي الجديد. و قد تفتحت الفارسية الجديدة فى القرن التاسع الميلادي فى شرقى ايران بالحروف العربية و الكلمات العربية، و نضجت فى بخارا عاصمة سلسلة السامانيين».

و يقول المسترفراي فى شأن استفادة الشعر الفارسى من العروض العربي:

«وقد مزج الشعراء الفرس الجُدد الطرق الشعرية الفارسية القديمة بالتفاعيل العربية فأبتدعوا منها بحوراً كثيرة. ولعل أحسن وأقدم نموذج لذلک هو «شاهنامة فردوسى» الذي بنى على بحر المتقارب العربي».[١٢٦]

وأمّا المذهب الشيعي:

ابدى الفرس منذ اختيارهم الدخول فى الاسلام فى سالف الايام علاقة و محبة لأهل البيت النبوي الطاهر اكثر من غيرهم.

وقد حاول بعض المستشرقين أن لايقولوا بصدق هذه العلاقة والمحبة، بل يقولوا، بأنها نوع من ردّ الفعل الذكي أمام الاسلام الرسمى او قل العرب، وذلک من أجل احياء دينهم القديم!.

وقد أصبح مقال هؤلاء مستمسكاً حسناً لطائفتين:

١ ــ لمتعصب من المسلمين يتمسک بهذه الدعاوي فى اتهام الشيعة بأنها فرقة سياسية غير مخلصة للاسلام، ومن هنايتهجم على أساس مذهب التشيّع. كما فعل هذا الدكتور أحمد أمين المصري فى كتابه «فجر الإسلام» مما جعل العلامة الفقيد الشيخ محمد الحسين

---

١٢٦ ــ عن الفارسية: ميراث باستانى ايران ص ٤٠٠ ــ ٤٠٢.

آل كاشف الغطاء يكتب «أصل الشيعة واصولها» للردّ عليه.

٢ ــ اولقومي عنصري ايرانى، يمجد المسلمين الايرانيّين الأوائل الذين استطاعوا بانحياز هم الى مذهب مستقل أن يحفظوا استقلالهم الوطنى، ومذهبهم السياسي الوراثى القديم. كما فعل هذا الدكتور «پرو يز صانعى» فى كتابه «قانون و شخصيت».[١٢٧] فانه بصدد البحث حول جمود التاريخ فى المدارس و سذاجته ضرب مثلاً يقول: «... كانوا يعلموننا أن الخلاف بين الشيعة والسنة هو فى: أننا ــ نحن الايرانيين ــ نؤيد علياً [عليه السلام] ونعدّه الخليفة الأول لرسول الإسلام، بينما يعده السنة رابع الخلفاء... وان هذا التحليل للخلاف بين السنة والشيعة يصور الخلاف بصورة غير ذات أهمية، فضلاً عن أن يكون منطقياً معقولاً!. وفى غضون سنين بعد أن تجاوز نامرحلة الدراسة الثانو ية، وعلى أثر مختلف المطالعات، عثرت على ما أعتقده الآن: من أن ظهور التشيّع من بدايع الفكر الفارسي الآري الايرانى! وذلك من أجل الحفاظ على استقلاله الوطنى ومذهبه السياسي القديم، حيث أن الامام الحسين [عليه السلام] اختارابنة آخر ملك ايرانى زوجة لنفسه، فكان ابنه علي بن الحسين [عليه السلام] ثم ابناؤه الأئمة، من أبناء ملوك الايرانيين.. ومن هنا رضي بهم الفرس أئمة وسادة وقادة! بهم يتولون ومن اعدائهم يتبرؤون! وهم بالعقيدة بهذه الامامة احتفظوا بحكومتهم الايرانية الملكية الوراثية».

ومن المستشرقين: نجد الدكتور «كنت كو بينو» فى كتابه الذي نشره منذ قرن تقر يباً، باسم «الفلسفة والدين فى آسيا الوسطى» يربط عقائد الشيعة فى الامامة بعقائد الفرس القديمة فى ملوكهم الساسانيين، و يزعم: أن زواج الامام الحسين بن علي عليه السلام «بشهر بانو يه بنت يزدجرد الساسانى» عامل مهم فى سراية العقيدة الفارسية القديمة إلى عقائد الشيعة فى الامامة فى ولدالحسين عليه السلام!.

وايّد المستشرق الآخر: «ادوارد بروان» فرضية «كو پينو» وقال: «و أنا أعتقد أن الحق مع كو پينو حيث يقول بأن الايرانيين كانوا يرون أن الملوكية حق سماوي بل موهبة إلهية اودعت فى اسرة الساسانيين الحاكمة. وقد كان لهذه العقيدة آثار عظيمة فى مختلف ادوار التار يخ الايرانى، وأخصّ بالذكر فأقول: ان مودّة الايرانيين لقربى الرسول و أهل بيته والمذهب الشيعى كان من آثار هذه العقيدة؛ اذ مهما كان انتخاب الخليفة عند العربي من العدالة والديموقراطية، فانه غيرطبيعى عندالايرانى، ولم يكن له اي أثر عنده الا أن ينفر من هذا الانتخاب ومن رجاله.. وكان السبب فى تذمّر الفرس من شخص الخليفة الثانى بالخصوص هو أنه كان هوالمحطّم للامبراطور ية الفارسية العظمى.. ولاشك فى وجدالفرس

---

١٢٧ ــ قانون و شخصيت ص ١٥٧ من منشورات جامعة طهران.

من عمروان كان قد ظهر بثوب المذهب! ان الفرس يعتقدون بأن الحسين بن علي [عليه السلام] تزوّج شهربانو يه بنت يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين، وعلى هذا فهم يعتقدون بأن كلا فرقتي التشيع (الامامية والاسماعيلية) ليستامثلتين لفضائل و حقوق قربى النبي[ص] فقط بل لهما حق الحكم أيضاً وذلك لأن العرق الفاضل النجيب من كلا الطرفين: كسرى وهاشم».[١٢٨]

نعم؛ هكذا يحلّل بعض المستشرقين، و بعض الايرانيين المتأثر ين بهم: حقيقة مذهب الشيعة وسبب ظهوره.

ان البحث حول هذا الموضوع يحتاج الى كتاب مستقل ولكن لابدّ لناهنا من ذكر بعض المطالب بالاجمال فنقول:

ان موضوع زواج الامام الحسين عليه السلام بشهربانو يه بنت يزدجرد و ولادة الامام السجاد عليه السلام من ملكة فارسية، وانتساب ابنائه الأئمة بها الى أُسرة الساسانيين الحاكمة، منح ــ كما شاهدنا ــ مستمسكاً بيد عدة من السوفسطائيين والمغرضين لاتهام الايرانيين بأن مودتهم لقربى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انما هي من آثار انتسابهم إلى الأُسرة الفارسية الحاكمة! وأن عقيدة الشيعة بالحق الإلهى للأئمة عليهم السلام من بقايا العقيدة الفارسية القديمة القائلة بالجلال الر بانى للملوكية الساسانية!.

و يقولون: بما أن الملوك الساسانيين كانوا يدّعون لانفسهم مقاماً سماو ياً.. وبما أن الائمة الأطهار عليهم السلام ينتهى نسبهم اليهم ولو من طرف الأُم! وبما أن اكثر شيعتهم من الفرس، وبما ان الشيعة يعتقدون لهم بمقام إلهى سماوي.. اذن: فالعقيدة بامامة الأئمة الأطهار عليهم السلام من آثار تلك العقيدة الفارسية القديمة.. وبهذه الصغر يات والكبر يات الصحيحة التامة مئة بالمئة! يصلون الى تلك النتيجة القطعية الصارمة!.

وسنوضح نحن هنا خواء هذه الكذبة المفتراة ببيان موجز، نقدم له فنقول:

هنا موضوعان يجب أن نفرق بينهما:

الموضوع الأول:

ان من الطبيعى لكل أُمة ــ ذات عقائد وافكار دينية ــ قد غيرت عقيدتها واعتنقت عقيدة اخرى: أن لا تتجرّد من جميع عقائد الدين القديم و تقاليده، و أن تدخل تعاليم و نزعات جديدة فى دينها الجديد[١٢٩] و من الممكن أن يكون معتنق الدين الجديد مخلصاً له غاية

---

١٢٨ ــ عن الترجمة الفارسية: تار يخ أدبيات ج ١ ص ١٩٥.

١٢٩ ــ راجع فجرالإسلام لأحمد أمين ص ٩٤ و ص ٩٨ ــ المعرّب.

الاخلاص، و أن لايكون له اي تعصب او تعمّد للاحتفاظ بمعتقداته السابقة، إلا أنه حيث لم ينسلخ فكره عن عقائده السابقة فانه يورد قليلاً منها او كثيراً فى مذهبه الجديد.

لاشك فى أن الأمم التى أسلمت كان بعضها وثنياً والآخر مسيحياً او يهودياً او مجوسياً، فمن الممكن أن تكون افكارهم السالفة قد اثرت فى معتقداتهم الإسلامية.

ومن المسلّم به أن الفرس أيضاً قد احتفظوا ــ لاشعورياً ــ ببعض عقائدهم القديمة بصبغة اسلامية. ومن المؤسف حقاً وجود بعض تلك الخرافات حتى الآن بين بعض أوساط الفرس الايرانيين، من قبيل القفر على النيران ليلة آخر اربعاء من السنة الشمسية الفارسية واليمين بالنور الذي لاشك فى انه من بقايا آثار المجوسية القديمة.

ولا ريب أن من الوظائف الاسلامية الابتعاد بالعقيدة الخالصة الاسلامية الطاهرة ــ وفق المقاييس الأساسية الإسلامية ــ عن كدر الأفكار الجاهلية.

فاذا أردنا أن نحقق فى مسألة الامامة من هذه الناحية؛ كان علينا أن نرجع أولاً الى القرآن الكريم والسنة القطعية للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لنعلم هل كان هذا الموضوع فى الإسلام قبل أن تدخل فيه الأُمم المختلفة؟ ام لا؟.

ونحن بالنظر الى القرآن الكريم والسنّة القطعية للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، نجد أنّ القرآن الكريم يؤيد صلاحية بعض عبادالله الصالحين لمقام الامامة والولاية الإلهية... و أن الرسول الاعظم صلى اللّه عليه و آله و سلم قد عرّف صلاحيّة عترته الطاهرين لهذا المقام الأمين وعينّه من قبل الله سبحانه لهم.

ونجد أيضاً أن هذا كان فى صميم الإسلام قبل أن يلتقي العرب المسلمون بسائر الأمم والشعوب وقبل أن يتأثر بعضهم ببعض.

فمثلاً: هل لأحد أن يقول: ان هذه الآية الكريمة من القرآن قد تأثرت بنظرية الحق الإلهى من الفرس، اذ يقول سبحانه: «ان اللّه اصطفى آدم ونوحاً و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض. والله سميع عليم».

ولا يمكننا هنا أن نرد البحث من هذه الناحية ــ وان كان له مجال واسع ــ اذ ليس هذا من صميم موضوعنا. بل الذي يهمنا الآن هوالتحقيق حول دعوى بعض المستشرقين واتباعهم و أذنابهم الذين يقولون: ان مذهب التشيع هوردّ فعل جميل اخترعه الفرس امام الاسلام؛ و أن الفرس انما اختلقوا مذهب التشيع لكى يحتفظوا تحت ستاره بعقائدهم القديمة التى كانوا يعتنقونها و يؤمنون بها.

الموضوع الثاني:

ان بعض الأُمم بعدما تغلب على أمرها سياسياً و عسكرياً، تحتفظ بعقائدها و

أفكارها تحت الستار، كنوع من المقاومة ــ الفكرية ــ امام الفاتحين.

يدّعي المستشرقون وأتباعهم و أذنابهم: أن الفرس انما اختاروا التشيع من مذاهب الاسلام مذهباً لأنفسهم، كي يحتفظوا تحت ستاره بعقائدهم القديمة. ونحن نريد أن تحقق هذا الموضوع من هذه الناحية بالذات... فنقول:

أوّلاً:

يرتبط هذا الموضوع بما بحثناه قبل هذا حول ما اذا كان اسلام الفرس بالرضا والرغبة ام بالعنف و الجبر؟ فلو كانوا قد اجبروا على ترك معتقدهم السابق وتقبل الإسلام لكان لقائل أن يقول: انهم اجبروا على ترك عقائدهم السابقة، فلاجرم انهم لجأوا الى هذه الحيلة المذهبية!. أما بعد التسليم بأنهم اذن لهم أن يحتفظوا ببيوت نيرانهم، بل تعهّد المسلمون لهم كسائر اهل الكتاب حينما دخلوا فى ذمتهم أن يحامواعنهم و يحافظوا لهم على معابدهم.. أما بعد التسليم بهذا كله فلاداعي للفرس اذن أن يتظاهروا بالاسلام نفاقاً وأن يحتفظوا بعقائدهم وافكارهم تحت ستار التشيع اوغيره.. اضف الى ذلك: أنا قدأثبتنا فيما سبق من هذا الكتاب: أن اسلام الفرس انما كان بالتدريج، وأن نفوذ الإسلام العميق وسلطته الروحية على الفكر الفارسي انما كان فى ادوار من التاريخ كانوا قد حصلوا فيها على استقلالهم السياسي بالقوة.. فلا محل اذن لهذه المفتريات والتهم.

يعترف بهذا الأمر «ادوارد براون» نفسه فى موارد متعددة من كتابه يقول:

«ان الفرس انما تقبلوا الإسلام طوعاً و رغبة..» و يقول: «ان التحقيق حول انتصار الإسلام على دين زرادشت اشكل واصعب بكثير من التحقيق فى استيلاء العرب على الاراضى من ممتلكات الساسانيّين» ثم يقول: «قد يتصور البعض: ان المسلمين المحاربين كانوا يخيّرون الأُمم المفتوحة بين اثنين: الاسلام والسيف؛ ولكن لايصح هذا التصور الخاطىء؛ اذ أن المجوس واليهود والنصارى كانوا مأذونين فى الاحتفاظ بدينهم فى مقابل دفع ضريبة مالية معيّنة تسمّى «الجزية» وكان هذا فى غاية العدالة والديموقراطية، اذ أنهم كانوا يعفون بازاء الجزية عن الاشتراك فى الحروب والغزوات وعن دفع الاخماس والزكوات التى كانت مفروضة على المسلمين».[١٣٠]

ثم يشرح جانباً من تدرّج انقراض المجوس فى صفحتى (٣٠٦ و ٣٠٧) ثم يقول:

«ان ماوصلنا من أخبار اسلام الفرس وان كان قليلاً، لكن الحقيقة التاريخية التى تعدّد لنا موارد متعددة من اسلام الفرس تصل الى منتصف القرن الرابع الهجري تدلنا بوضوح

---

١٣٠ ــ عن الترجمة الفارسية: تاريخ أدبيات ج ١ ص ٢٩٧.

على أن الفرس كانوا يتمتعون بروح التحمل والعفو من قبل المسلمين الفاتحين، وهذا يدلنا على أن الفرس انما غيروا دينهم بالسلم و التدريج».

ثم ينقل «ادوارد براون» عن كتاب «الاسلام» للمستشرق الهولندي الشهير «دوزي» انه يقول: «ان أهم أُمة غيرت دينها الى الإسلام هم الفرس، فقد قوى الإسلام و استقرهم لا بالعرب! وهم الذين ظهر بينهم احسن المذاهب الاسلامية و اجملها».

انّ ردّ فعل الفرس أمام الإسلام كان مليئاً بالاستقلال والترحيب الجميل الى مدى لايجعل مجالاً للقول بأن الأحاسيس القومية والدينية القديمة جعلتهم يحاولون احياء عقائدهم القومية أو الدينية القديمة تحت ستار التشيع مثلاً.

وقد شرحنا فيما سبق عوامل هزيمة الفرس مع تلك القدرة والقوة والعظمة: فعددنا منها: كراهة شعب ايران لحكومتهم و دينهم! نعم، إنّ شعب ايران كان قد ملّ منهم و سئم، وكان على استعداد كامل للتفتيش عن ملجأ يلتجىء اليه من شرّ حكومته ودينه! وكان منفتحا للاصغاء الى صوت عدالة وحقيقة يسمعه فيسرع اليه و يتبعه. وليس التفافهم حول «مزدك» إلامن اثر انزعاجهم وكراهيتهم لماهم عليه.

وقد اشرنا قبل هذا ايضاً الى أنّ دين زرادشت كان قد بلغ فى ايران من الفساد والانحراف وكراهية الناس له الى درجة بحيث لوفرضنا أن الإسلام لم يكن يدخل ايران فاتحاً لسخرته المسيحية الرومانية.

و ينقل «براون» عن المستشرق الهولندي «دوزي» أيضاً قوله:

«كان فى النصف الاول من القرن السابع الميلادي كل شيء يجري مسيرته العادية فى كلتا الامبراطوريتين العظيمتين: الروم الشرقية والدولة الفارسية، وكانت كل واحدة منهما مستمرة فى نزاعها التقليدي مع الاخرى حول السلطة على آسيا الغربية، وان كانت كل واحدة منهما بحسب الظاهر تجري فى مسيرتها العادية فى طريق الرقى والتقدم والعمران، وتجبى الى خزائن ملوك هاتين الدولتين مبالغ طائلة من المكوس والضرائب، وكانت كماليات كل من عاصمتى المملكتين مضرباً للأمثال الاّ أنّ وزر الحكم الاستبدادي كان يثقل كاهل كل من البلدين، بحيث أصبح تاريخ ملوك كل من الدولتين مشحوناً بالفجائع الهائلة فى أذى الجماهير. وكانت هذه السنة الظالمة فى الدولتين نتيجة للخلافات التى كانت تسود الشعبين باسم الدين!.

و فى هذه الظروف بالذات ظهرت على مسرح الحياة امة جديدة، ابدت محيّاها للناس من اوساط الصحاري الحجازية غير المعروفة، وهى من القبائل العديدة التى كانت حتى ذلك الحين متفرقة مختلفة متحاربة فيما بينها، ولكنها كانت قد تجمّعت واتحدت لاول مرة يومئذ، فاخرجت من نفسها الى الوجود خيرامة متحدة متفقة جديدة، تحب الحرية حباً شديداً،

وتلبس ملا بس بسيطة وتأكل مأكلاً ساذجاً، نجيبة كريمة، نشطة ذكية، مرحة مزّاحة.. وهى بالفعل ذات غرور و غضب، واذا شب نار غضبها فهى حقودة عنودة ظالمة أيضاً!

فهذه الأُمة هى التى أطاحت بالامبراطور ية الفارسية القديمة العز يزة! ولكنّها البالية الفاسدة أيضاً وذهبت بأجمل مستعمرات خلفاء قسطنطين، وحطّمت الدولة الألمانية الفتية، و هدّدت سائر دول اورو پا القديمة، و قد بلغت جيوشها الفاتحة من الشرق الى سلسلة جبال هملايا.

إلا ان هذه الأمة لم تكن تشبه سائر الأُمم الفاتحة، لانها كانت قد أتت بدين جديد تدعو اليه الأُمم، و كان هذا الدين على خلاف الثنو ية الفارسية و المسيحية الرومية المنحطة توحيداً طاهراً خالصاً، فآمن به ملايين من شعوب الأُمم المفتوحة، حتى أصبح الاسلام اليوم دين عشر البشر تقر يباً».

و يبحث «ادوارد براون» فى كتابه حول «اوستا» و هل ان اوستا الحقيقية باقية الى اليوم ام معدومة؟ فيقول:

«ان أوستا تتضمن عقائد شخصية شهيرة، هو «زرادشت» و تحتوي على أحكام الدين القديم. و كان هذا الدين قد لعب دوراًهاماً فى تار يخ العالم فى حينه، و مع آنه لم يبق الآن عليه اكثر من «عشرة آلاف فى ايران» و «تسعين الف فى الهند» فقد كانت له فى سائر الاديان الهامة آثار عظيمة و عميقة.

و مع هذا لانستطيع القول فى وصف اوستا: بآنه كتاب متلق بالقبول.صحيح ان اكثر عباراته مشكوكة و اكثر تفسيراته مردّدة، و لعلنا اذا بلغنا الى مفاهيمها و معانيها تجلى لنا بقدر اكبر من الآهمية، لكن آجزم آن آقول عن نفسى: انني متى مارحت اطالع القرآن الكريم اكثر، وسعيت فى سبيل ادراک روح القرآن اكثر، التفتّ الى قدره و منزلته اكثر... بينما التحقيق و المطالعة فى اوستا مملة و متعبة، اللهم الا آن يكون الشخص بصدد التعرف على تار يخ الانسان و اساطيره، او امورتطبيقية سواها»[١٣١].

ان مايقوله «ادوارد براون» عن نفسه يجب ان يقوله عن لسان جميع الفرس آنذاک آيضاً، حيث تركوا اوستا قرناً فقرناً و دخلوا فى دين الله فوجاً فوجاً! ان اعتزال الفرس لاوستاو انضمامهم تحت لواء القرآن الكريم امر طبيعى للغاية، ولم يكن هناک اي دافع يدعوهم الى آن يحتفظوا بما تعلموه من اوستا، او ما اعتادوه مما كانوا يقومون بها لملوكهم كرها، كى يعملوا بها تحت ستار من مذهب التشيع...

---

١٣١ ــ عن الترجمة الفارسية: تار يخ أدبيات ص ١٥٥.

ثانياً:

ان «يزدجرد» حينما لم يستطع آن يقاوم المسلمين و هو فى عاصمة ملكه، خرج منها ببلاطه و حرمه، و معهم الف طباخ، و الف مشاط، و الف مغن، و الف رقاص، و جماعة كثيرة من الخدم، و هو مع ذلک يحسبهم قليلاً[١٣٢].

و كان يفرمن بلد الى بلد و يستجير باهل البلدان من الفرس و هم لايجيرونه، و مع آنهم لو ارادوا أن يحموه و يقاوموا معه العسكر الفاتح لاستطاعوا بحتماً... حتى انتهى الى خراسان و قد خابت ظنونه و آماله فيها آيضاً. فلجأ الى طحان او حارس الحدود فقتله!.

وهنا نقول: كيف لايجير الفرس يزدجرد نفسه، ثم يكرم آهل البيت (ع) و يجعلهم فى شغاف قلبه و ينشر بين ايديهم اغلى عواطفه، أكل ذلک لقرابتهم من يزدجرد الذليل المُهان المخذول، لامن رسول الاسلام؟!.

ثالثاً:

نفترض آن الفرس كانوا مجبرين ــ كما يتهمونهم ــ على كتمان عواطفهم، فكانوا يخرجونها تحت ستارالتشيع. فلما ذا حينما ارتفع عنهم هذاالجبر والاكراه، و حصلوا على استقلالهم السياسي بعد قرنين فقط، لم يهتكوا هذاالستار و لم يتظاهروا بعواطفهم كما يشاؤون، بل نراهم كلما تطاول عليهم الأمد تعمقوا فى الإسلام راسخين و تناسوا عهودهم الغابرة غير آسفين؟!

رابعاً:

يعلم الله و يعلم كل شيعى فارسي: آنه ليس لشهر بانو يه عندنا مقام ارفع ولا آعلى من سائر أُمهات الأئمة الاطهار، و هنّ: من العرب، والروم، والمغرب، والبربر، وافريقية.. فاي شيعى فارسي اوغير فارسي يحسُّ فى قرارة قلبه لاُمّ الامام زين العابدين عليه السلام كرامة اكثر من سائرهن؟! بل ان من المسلم المقطوع به آن احترام «السيدة نرجس الرومية» أُم الامام المهدى (ع) اكثر عندنامن احترامنا لشهر بانو يه الفارسية الساسانية الايرانية!.

خامساً:

نحن ان تعمقنا فى تحقيق قصة زواج الامام الحسين عليه السلام بشهر بانو يه، من الناحية التاريخية ــ لبدت قصّة مشكوكاً فى صحتها من الاساس.

---

١٣٢ ــ عن الترجمة الفارسية: ايران در زمان ساسانيان، ص ٥٢٨ للمستشرق: كريستن سن.

انّ قضيّة ارجاع حبّ الفرس للأئمة الأطهار عليهم السلام إلى انتسابهم الى أُسرة الساسانيين، من الناحية التاريخية، تشبه قول من قال: افترس الذّئب الامام يعقوب على منارة فى البصرة! فاجابوه: انه لم يكن يعقوب بل يوسف، ولم يكن فى البصرة بل فى مصر، ولم يفترسه الذّئب بل كذب عليه اخوته بذلك.

انّ قصة اَن يكون ليزدجرد ابنة باسم «شهربانو يه» او ايّ اسم آخر، و انها تكون قد نالت فخر الزواج بالامام الحسين عليه السلام، و ولدت له الامام السّجاد عليه السلام، مشكوكة من الناحية التاريخية شكاً شديداً. اذ اَنّ عامة المؤرّخين لم يذكروا فى هذا المورد شيئاًقط، اللهم إلاما اثبته اليعقوبي فقال: «كانت امه (حرار) بنت يزدجرد كسرى، و ذلك اَنّ عمر بن الخطاب لما اتى بابنتي يزدجرد وهب احداهما للحسين بن علي عليه السلام، فسّماها: غزالة»[١٣٣].

ولذلك نرى أنه لايعتمدعلى هذه القصة حتى «ادوارد براون» نفسه! و يشكك فيها «كر يستن سن». و يعدها السيد سعيد النفيسى فى كتابه من الاساطير! و اذا فرضنا ان الفرس قدوضعوا هذه القصّة للغرض المذكور، فانما يحتمل هذا الفرض فيما بعد مئتى سنة من أصل القضية، اي فيما يقارن الاستقلال السّياسيّ لايران من السلطة العباسية، و هذا انّما كان بعد ظهور التشيّع بمأتى عام أيضاً. اذن فكيف يمكن أن يكون تشيّع الفرس مسبّباً عن أُسطورة ولادة الأئمة الاطهار من سلالة ملوك الفرس؟!.

هذا من ناحية تاريخية.

و اما من ناحية الأحاديث:

فقد ورد هذا فى بعض الأحاديث اَيضاً:

منها: ما فى «الكافى»: عن ابراهيم بن اسحاق الاحمري النهاوندي، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن ابي جعفر عليه السلام قال: «لمّا أُقدمت بنت يزدجرد على عمر... فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام... خيّرها رجلاً من المسلمين واحسبها بفيئه. فخيرّها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام»[١٣٤].

وفضلاً عن عدم توافق مضمون هذه الرواية مع الواقع التاريخيّ نقول: ان فى سند هذه الرواية رجلان لايمكن الاعتماد عليهما؛ احدهما: ابراهيم بن اسحاق الأحمرى النهاوندي، الذي اتّهمه علماء الرّجال فى دينه، وعدّوا رواياته مما لايمكن الاعتماد عليه، فقد قال النّجاشى: «كان ضعيفاً فى حديثه، متهوماً»[١٣٥].

---

١٣٣ ــ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ ط نجف.

١٣٤ ــ الكافى ج ١ ص ٤٤٦ ط طهران.

١٣٥ ــ كتاب الرّجال للنجاشى ص ١٤ ط الهند. و ذكره العلامة الحلى (قده) فى القسم الثانى من رجاله (الخلاصة) فى الضعفاء فقال: «كان ضعيفاً فى حديثه، متهماً فى دينه، وفى مذهبه ارتفاع، و أمره مختلط. لا

والآخر: عمرو بن شمر، الذي قال فيه النجاشي أيضاً: «ضعيف جداً، زيد أحاديث في كتب (جابر الجعفي) ينسب بعضها اليه، والأمر ملتبس»[١٣٦].

ولا أدري ما اذا كانت سائر الروايات من هذا القبيل ام لا؟ فالموضوع بحاجة الى تحقيق اكثر[١٣٧].

سادساً:

إن كان الفرس يحترمون الأئمة الأطهار لانتسابهم الى أُسرة الساسانيّين كان يجب ان يقولوا بمثله للأُسرة الأموية أيضاً، اذ حتى الذين ينكرون وجود ابنة ليزدجرد باسم شهر بانو يه يقولون: ان قتيبة بن مسلم عثر في عهد الوليد بن عبدالملك في احد الحروب على «شاه افريد» حفيدة يزدجرد، فأسرها و بعث بها الى الوليد بن عبدالملك فتزوّجها لنفسه، فولدت له «يزيد بن الوليد بن عبدالملك» الملقّب بالناقص. اذن فالخليفة الاموى يزيد الناقص كان ينتسب من طرف امه الى الملوك الفرس قطعاً.

فلما ذا لم يتعاطف الفرس مع الوليد بن عبدالملك بعنوان انه صهر ملكهم، ولا مع يزيد الناقص بعنوان انه و اولاده من أحفاد سلسلة الساسانيّين؟ مع أنهم احبّوا الامام الرضا عليه السلام ــ مثلاً ــ لانه ينتهي في جدّه السادس الى يزدجرد!.

بل لوكان للفرس هكذا عواطف قومية لكان يجب عليهم أن يحترموا عبيدالله بن زياد احتراماً!! لانّ عبيدالله فارسي من قبل امه قطعاً! و ان كان ابوه رجلاً مجهول النسب، و لكنّ امه «مرجانة» او «مهركان» بالفارسية من فارس شيراز، تزوجها زياد حينما كان والياً على فارس.

فلوكان للفرس عواطف قومية بلغت بهم الى أن رفعوا الأئمة لانتسابهم الى الأسرة الفارسية الحاكمة الى ذلك المقام الرفيع ــ كما زعم هؤلاء ــ فلماذا استصغروا الى مدى بعيد «مرجانة» الفارسية قطعاً وابنها عبيدالله الفارسي من قبل امه؟!.

سابعاً:

انما تحتمل هذه التهمة فيما اذا كان الشيعة ايرانيين فقط، او كانت الفرقة الاولى من الشيعة فارسية على الأقل، او كان جميع الذين أسلموا من الفرس او اكثرهم ــ على الاقل ــ

أعمل على شئ مما يرويه. وقد ضعفه الشيخ في «الفهرست» ص ١٩٨ ط نجف. ــ المترجم.

١٣٦ ــ كتاب الرجال للنجاشي ص ٢٠٤ ط الهند. و ذكره العلامة أيضاً في القسم الثاني من كتابه في الضعفاء، فنقل كلام النجاشي ثم قال: «فلا أعتمد على شئ مما يرويه» ص ٢٤١ ط نجف.

١٣٧ ــ و قد كتب الدكتور السيد جعفر شهيدي كتاباً في ذلك بالفارسية «چراغ روشن در دنياى تاريک» خرج من دراسته بتكذيب هذه القصة على كلّ صعيد ــ المترجم.

اختاروا مذهب التشيّع من اوّل الأمر.. بينما نرى آن لاسابقة للفرس فى التشيع (سوى سلمان الفارسي (رض) و ان اكثر الذين أسلموا من الفرس ما اختاروا مذهب التشيّع من أول الأمر، بل نرى آن اكثر علماء المسلمين الايرانيين فى التفسير والحديث والكلام و الادب من السنة لا الشيعة، بل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة، و آن هذا الأمر استمر بهم الى ما قبل (الصفوية) فان اكثر بلدان ايران الى عهدهم كانوا سنّة لاشيعة[١٣٨] و كان الفرس ــ كسائر المسلمين ــ يسبّون أميرالمؤمنين علياً عليه السلام على منابرهم و منائرهم بتأثيرمن دعايات الأمويّين، حتى قيل ان بعض مدن ايران قاومت منع عمر بن عبدالعزيز من ذلک فأصرّت على سبّه عليه السلام.[١٣٩].

و ان اكابر علماء السنة الى ما قبل عهد الصفوية كانوا من الفرس، من المفسرين و الفقهاء و المحدثين و المتكلمين و الادباء و اللغويين و الفلاسفة و غيرهم.

فان أبا حنيفة ــ الامام الاعظم ــ كان فارسياً، و البخاري صاحب الصحيح اكبر محدثى السنة فارسي، و سيبويه امام النحويين فارسي، والجوهري صاحب كتاب الصحاح فى اللغة فارسي، والفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط فى اللغة فارسي، و الزمخشري اكبر واقدم المفسرين فارسي، و ابوعبيدة و واصل بن عطاء من المتكلمين فارسيان.. و هؤلاء كلهم من علماء السنة... و هكذا كان اكثر علماء ايران و اكثر الفرس سنة.

تغلّب الاسلام على العصبيات:

و من العجيب: آن الشعوب الاسلامية كانت ــ غالباً ــ تتبع فتاوى علماء يختلفون معهم من حيث القومية! فالمصريون ــ مثلاً ــ كانوايتبعون فتاوى الليث بن سعد الفارسى! بينما كان اكثر الفرس يتبعون الشافعى العربي! و كان بعض علماء ايران كإمام الحرمين الجوينى والغزالي والطوسي يتعصّبون للشافعى على أبي حنيفة كثيراً،وحينما تشيع الفرس بعد هذا تقلدوا امامة الائمة الاطهار عليهم السلام و هم هاشميون من قريش!.

و هكذا نرى فى فتاوى هؤلاء العلماء ــ علماء المذهب ــ فتاوى تشعر بنفوذ الاسلام

---

١٣٨ ــ الدكتور كامل مصطفى الشبيبى: الفكر الشيعى ص ٤١٥. و الدكتور النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام ج ٢ ص ٥٤٠. و الدكتور محمد العزاوي: فرقة النزارية ص ١٩٧. و الدكتور على الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج ١ ص ٥٩ ــ المترجم.

١٣٩ ــ و هذا ما يحد ثنابه ابوبكر الخوارزمي فى بعض رسائله التى بعث بها الى جماعة من الشيعة بنيسابور، يعدّد فيها ما جرى من الحسن و المظالم على آل البيت عليهم السلام و يقول:«و نسأل الله أن لا يحشرنا على نصب اصفهاني! و لا على بغض لآهل البيت طوسي اوشاشيّ» ــ كما فى كتاب: حاضر العالم الاسلامي عن رسائل الخوارزمي ج ١ ص ١٩١ ــ المترجم.

على العصبيات العنصرية عندهم! مما قد يوجب الحيرة بالنسبة الى العصبية القومية و العنصرية!

فابوحنيفة ــ مثلاً يرى فى باب النكاح فى مسألة الكفاءة: اَنّ العجم ليسوا اكفاء للعرب! و اَن العجمىّ لايجوز له اَن يتزوج امرأة عربية! بينما لايقول سائر الفقهاء ــ و منهم مالک بن اَنس و سفيان الثوري العربيان ــ باي تفاوت فى الكفاءة بين العرب و العجم![١٤٠]

و يروي هذا الاختلاف العلامة الحلى (قده) من كبار فقهاء الشيعة فى كتابه «تذكرة الفقهاء»* و ينقل فيه فتوى ابي حنيفة ثم يعلّق عليها فيقول «و عندنا نحن أن النسب لااعتبار به بل يجوز لوضيع النسب أن يتزوج بشريفة حتى اَن العبد يجوز أن يتزوج بالعلوية الشريفة و هو احد قولى الشافعى ــ لعموم قوله تعالى: «فانكحوا ماطاب لكم من النساء» و مارواه العامة: اَن سلمان الفارسى طلب الى عمر فأجابه الى ذلک، فكره ابنه عبدالله ذلک فقال له عمرو بن العاص: أنا أكفيک. فلقى عمرو بن العاص سلمان فقال: ليهنک يا سلمان! فقال: و ما هو؟ قال: تواضع لک أميرالمؤمنين! فقال سلمان: ألمثلي يقال هذا؟ والله لانكحتها أبداً. و سلمان كان من العجم فاجابه عمر الى التزويج. و ابن عمر لم ينكره بل كرهه. و من طريق الخاصة: مارواه عمار عن الصادق عليه السلام اَن رسول الله زوج ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب من مقداد بن الاسود، فتكلمت فى ذلک بنوهاشم، فقال رسول الله: اني انما اردت اَن تتّضع المناكح. و فى حديث آخر عن الصادق عليه السلام: ان رسول الله زوج المقداد بن الاسود ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب، و انما زوجه لِتَتَّضِعَ المناكح، و ليتأس الناس برسول الله صلى الله عليه و آله وليعلموا أن اكرمهم عندالله اتقاهم. مع اَن ضباعة بنت عمته و المقداد بن عمر الاسود عامى اجماعاً»[١٤١].

ان فتوى أبي حنيفة فتوى غريبة، و لعلها نشأت من عدم اطلاعه على بعض الامور. الا أننا نستطيع أن نفهم من تعصب علماء الفرس للشافعى العربي على اَبي حنيفة الفارسى اَن العصبية القومية كانت قد فقدت قوامها فى تلک العصور بين علماء المسلمين.

و نقل الفقهاء فى كتب الفقه فى هذا المورد قصة تحكى لنامدى عصبية العرب بالنسبة الى غيرهم من ناحية، و تغلب الاسلام عليها من ناحية اخرى فقد روى الشيخ الطوسى (قد) فى كتاب (الخلاف فى الفقه) مايلي:

---

١٤٠ ــ الزيلعى ٢: ١٢٨ و ١٢٩ و بداية المجتهد لابن رشد ج ٢ ص ٣ و ص ١٢ و الفقه على المذاهب الاربعة ج ٤ ص ٥٥ و الخلاف فى الفقه ج ٢ ص ١٤٩ ــ ١٥١ ــ المعرّب.

* ج ٢ ص ٦٠٤.

١٤١ ــ تذكرة الفقهاء ج ٢ ص ٦٠٤ ط قديم.

«و روى: آن سلمان الفارسى خطب الى عمر فاجابه الى ذلک، فكره عبدالله بن عمر ذلک، فقال له عمرو بن العاص: آنا اكفيک. فلقى عمرو بن العاص سلمان الفارسى فقال: ليهنک ياسلمان!فقال: و ماهو؟ فقال: تواضع لک أميرالمؤمنين! فقال سلمان: لمثلى يقال هذا؟! والله لانكحتها آبداً. و سلمان كان من العجم، فأجابه عمر الى التزويج، و ابن عمر لم ينكر بل كرهه»[١٤٢].

تشيّع الفرس:

إنّ اكثر الفرس تشيعوا منذ عهد الصفوية فما بعده.ولا اريد بهذا آن أقول ان التشيع لم يعرف فى ايران الا فى العهد الصفوي، اذ لاشک فى آن ايران كانت منذ صدر الإسلام آصلح تربة لبذرة التشيع من اي مكان آخر، و آن التشيع لم ينفذ فى اي نقطة اخرى مثل ماشاع و ذاع فى ايران، و أنه كان كلما مرّالزمان تهيأت الروح الفارسية لقبول التشيع اكثر من ذي قبل، و أنه لولا وجود جذور التشيع فى اعماق الروح الفارسية لما كان الصفويون يتوفقون الى آن يشيعوا التشيع فى ايران بتسلمهم ازمة الحكم...

والحقيقة: آن سبب اسلام الفرس و تشيّعهم هوشئ واحد، فإن الفارسيّ رأى الاسلام منسجماً مع روحه الحية، و وجد فيه ضالّته المنشودة. إنّ شعب ايران الذي كان بطبعه عاقلاً فهما، والذي كانت له سابقة حضارية وثقافية، اشتاق الى الاسلام اكثر من اية امة اخرى، فدخل فيه، بل طفق يخدمه اكبرخدمة ممكنة.

ان الحقيقة التى استطاعت آن تجتذب الروح الفارسي الى الإسلام اكثر من آي شئ آخر لهى المساواة والعدالة فى الإسلام، اذكان الفارسي قد حُرم منهما منذ قرون، فكان فى انتظار هما أشد الانتظار... و لقد رأى آن اعدل المسلمين العرب و ادعاهم الى العدل و المساواة مع سائر المسلمين بدون اية عصبية بل بعاطفة رحيمة انماهم أهل البيت عليهم السلام، اذ كانوا ملاذ العدل و معهده فى الإسلام و خصوصاً بالنسبة الى المسلمين غير العرب.

انالوالتفتنا قليلاً الى تلک العصبيات العربية التى كانت تمارس من ناحية الخلافة الرسمية بين العرب و غيرهم، والدفاع الذي كان يتكلّفه الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام عن المساواة فى الإسلام بين العرب و غيرهم... تجلّت لنا هذه الحقيقة.

---

١٤٢ ــ الخلاف فى الفقه ج ٢ ص ٣٦٨ ط دارالمعارف الاسلامية، بقم المقدسة.

فقد نقل المجلسي[١١١] (قده) في تاسع «البحار» في باب أحوال سائر أصحابه عليه السلام عن «الكافي» للشيخ الكليني ٣٢٩ هـ آخر باب النوادر من كتاب المعيشة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أتت الموالي أمير المؤمنين فقالوا: نشكوا اليك هؤلاء العرب؛ ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يعطينا معهم العطايا بالسّوية، و زوّج سلمان و بلالا وصهيباً، و أبوا علينا هؤلاء و قالوا: لانفعل!. فذهب اليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكلمهم فيهم، فصاح الاعاريب: ابينا ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك! فخرج و هو مغضب يجرُّ رداءه و هو يقول: يا معشر الموالي ان هؤلاء قد صيّروكم بمنزلة اليهود و النصارى؛ يتزوجون اليكم و لايزوجونكم، و لا يعطونكم مثل مايأخذون، فاتّجروا بارك الله لكم، فانّي سمعت رسول الله يقول: الرزق عشرة أجزاء تسعة اجزاء في التجارة و واحد في غيرها»[١٤٣].

و روى سليم بن قيس الهلالي الكوفي التابعي في كتابه ضمن كتاب كتبه معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن سمية مانصّه: «.. وانظر إلى الموالي و من أسلم من الأعاجم فخذهم بسنة عمر ــ فان في ذلك خزيهم و ذلّهم ــ أن تنكح العرب فيهم و لاينكحونهم، و أن ترثهم العرب و لايرثونهم، و أن تقصرهم في عطائهم و ارزاقهم، و أن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق و يقطعون الشجر، و لايؤم احد منهم العرب في الصلاة، و لا يتقدم أحد منهم في الصف الأول اذا حضرت العرب الا أن يتموا الصف، ولا تولّ احداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين و لا مصراً من أمصارهم، و لايلي احد منهم قضاء المسلمين ولاأحكامهم، فان هذه سنة عمر فيهم و سيرته...» إلى أن قال: «فاذا جاءك كتابي هذا فأذلّ العجم و أهنهم، واقصهم ولا تستعن بأحدمنهم و لا تقض لهم حاجة»[١٤٤]

بينما نرى الامام أمير المؤمنين عليه السلام حينما تحتكم اليه امرأة عربية على اعجمية فيحكم بالحق للاعجمية، فيرى من العربية الاستنكار! يرفع بيديه قبضتين من تراب الارض فيتأمل فيهما و يقول: انى لا أرى فرقاً بين هاتين القبضتين! يشير الى قول رسول الله صلى الله عليه و آله اذ قال: «كلكم لآدم و آدم من تراب، ليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى»..

و في كتاب «الغارات» لابي اسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى ٢٨٣ هـ عن عبّادبن عبدالله الأسدي قال: «كنت جالساً يوم الجمعة و علي عليه السلام يخطب على منبر من آجر، وابن صوحان جالس. فجاء الأشعث فجعل يتخطّى الناس، فقال: يا أميرالمؤمنين! غلبتنا هذه الحمراء على وجهك! فغضب علي عليه السلام و قال: من يعذرني من

---

١٤٣ ــ البحار ج ٩ ص ٦٣٨ ط حجر. وفي فروع الكافي ج ١ ص ٤٢٢ و مرآة العقول ج ٣ ص ٤٤١ و الوسائل ج ١٤ ص ٤٦ ط طهران ــ المترجم.

١٤٤ ــ كتاب سليم بن قيس الهلالي الكوفي التابعي ص ١٠٢ ــ ١٠٤ ط النجف الأشرف. ــ المترجم.

هؤلاء الضيّاطرة! يقيل احدهم يتقلب على حشاياه، و يهجر قوم لذكرالله، فيأمرني أن اطردهم فاكون من الظالمين! والذي فلق الحبة و برأ النسمة لقد سمعت محمداً صلى الله عليه و آله يقول: ليضربنّكم والله على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»[١٤٥].

و فيه: «كان المغيرة الضبّي (احد الرواة) يقول: كان علي عليه السلام احدب الى الموالى وألطف بهم، و كان عمر أشدّ تباعداً منهم»[١٤٦].

و في «معاني الأخبار» للشيخ الصدوق (قده) باسناده قال: قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: ان الناس يقولون: من لم يكن عربياً (صلباً) او مولى صريحاً فهو (سفلىّ)! فقال عليه السلام: و اي شئ المولى (الصريح)؟ فقال له الرجل: من مُلك أبواه. قال: و لِمَ قالوا هذا؟ قال: لقول رسول الله صلى الله عليه و آله: مولى القوم من أنفسهم. فقال: سبحان الله! أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: أنا مولى من لامولى له، و أنا مولى كل مسلم عربيّها و عجميّها. فمن والى رسول اللّه أليس يكون من نفس رسول الله؟! ثم قال: ايّهما أشرف؟ من كان من نفس رسول الله او من كان من نفس اعرابيّ جلف بائل على عقبيه؟! ثم قال: من دخل في الإسلام رغبةً خير ممن دخل رهبة، و دخل المنافقون رهبة، و الموالى دخلوا رغبة»[١٤٧].

و في تاريخ الإسلام كثير من أمثال هذه القضايا مما يوضّح لنا مسيرة التفرقة القومية و العنصرية التي كانت تجري بين المسلمين العرب و غيرهم في الإسلام، و كيف أن الأئمة الأطهار عليهم السلام كانوا يدافعون عنهم و يناوئون هذه السياسة الأموية الجاهلية، والتي كانت تكفي بنفسها في تنفير الناس عنهم، والتي كان دفاع الأئمة و مضادّتهم لها أيضاً كافياً في جلب حماية الفرس و هوايتهم اليهم.

واهانة باسم الدّفاع!

واعجب من ذلك و من كل شئ: أنه قد ظهرت في الاونة الأخيرة جماعة شذّاذ يوجهون الى قوميتهم الفارسية اكبراهانة باسم الدفاع عنها:

فتارة يقولون: ان الأُمة الفارسية كانت تريد أن تدافع عن حكومتها آنذاك وسلطتها

---

١٤٥ ــ الغارات ج ٢ ص ٤٩٨ ط طهران بتحقيق السيد جلال الدين المحدث الارموي حفظه الله.

١٤٦ ــ نفس المصدر.

١٤٧ ــ معاني الآخبار للشيخ الصدوق ص ٣٨٥ ــ باب النوادر.

و دينها بكل جدّ!. مع أنهم يقررّون أنهم انهزموا بمالهم من القدرة والشوكة والعدّة والعدد البالغ (١٤٠) مليوناً امام عدد لايزيد على (٥٠) الفاً الا بقليل! ياله من عار وذل وصغار!.

واخرى يقولون: ان الفرس انماغيّروا دينهم و عقيدتهم و ايمانهم خوفاً و رهبة! و هذا ان صحّ فهم اذن اذل امم العالم بمالا يستحقون معه اسم الانسانية؛ إذأنهم لم يستطيعوا آنيحتفظوا بعقيدتهم القلبية أمام الأُمة المنتصرة عليهم!.

و ثالثة يقولون: ان الأُمة الفارسية لازالت حتى اليوم تحت نيرالاستعمار العربي!. و معنى هذا آن السيادة العسكرية و ان كانت لم تستمر على ايران اكثر من قرن واحد فقط، ولكن ظهر هذه الأُمة لازال منحنياًمن سياط العرب منذ ذلک العهد البعيد! و يا لهذا من ضعف و هوان! ان الأُمم نصف الوحشية اخذت اليوم تقطّع سلاسل الاستعمار عنها سلسلة بعد اخرى فتتحرّر، بعد آن كانت تحت نيرهذا الاستعمار المحيط بها قروناً متطاولة... بينما انهزمت امة كهذه الامة بمالها من سابقة حضارية وثقافية أمام امة بدوية صحراوية، ثم لم تدم هذه الأُمة المنتصرة شيئاً حتى فقدت قواها، لكن لم تزل هذه الامة المنهزمة تستوحش من تلک الهزيمة النكراء! ولذلک فهى لا تزال تقتبس الفكر والأدب و كل شئ من تلک الأُمة المنتصرة يوماً ما و هى راغمة!.

و رابعة يقولون: ان الفرس انما تشيعوا لكى يحتفظوا تحت ستار التشيع بمعتقداتهم و آدابهم القديمة!. و معنى هذا أنهم طوال هذه المدة المديدة من الزمان انما كانوا يتظاهرون بالإسلام رءاءاً و نفاقاً و خداعاً و مكراًوحيلة، انهم و انما كانوا يدعون الاسلام حتى ملأُوا به تاريخهم اكثر من اية امة اخرى كذباً و زوراً! و آنهم انما كانوا و لا زالوا و لا يزالون يقولون كذباً و يكتبون كذباً و يتظاهرون بالاسلام كذباً و يصلون و يصومون و يحجّون البيت الحرام كذباً طوال اربعة عشر قرناً من الزّمان... ياالها من خسّة و دناءة!.

و خامسة يقولون: لم يكن السبب فى انشداد هذه الامة الى الإسلام والتضحية فى سبيله هواطلاع هذه الامة على سلسلة من الحقائق والمعارف الاسلامية، حيث وجدوافى الاسلام والتشيّع مايتلاءم و ينسجم مع روحها، بل انما السبب فى ذلک هو زواج الامام الحسين عليه السلام بابنة الملک الفارسي المنهزم! و معنى هذا: آن هذه الأُمة انما غيّرت مسيرتها فى التاريخ على اثرتغييراسرتهاالحاكمة مسيرتها فى التاريخ بهذا الزواج المزعوم!. ياله من خواء و ضياع!.

وسادسة يقولون: ان الفرس أرادوا آن يدافعوا عن حكومتهم آنذاک، ولكنهم رجحوا أن يسحبوا أنفسهم من ميدان المعركة فيقفوا الى جانبٍ وقفة المتفرّج ليروا الى آين تنتهى عواقب الأُمور!. ياله من هوان وفقدان غيرة!.

و نحن ان وافقناهؤلاءالكتاب المحدثين، كانت الامةالفارسية ــ كما يقول هؤلاء ــ أهون امم العالم و شعوبه؛ و ذلک لانها ــ كما يزعمون ــ تركت خطّها واتخذت الخط العربي خوفاً! واهتمت باللغة العربية اكثر من لغتها هى، فألفت لها الكتب ونظمت لها القواعد و القوانين خوفاً! وعلمت ابناءها العربية عوضاً عن الفارسية خوفاً! وادخلت المفاهيم الإسلامية فى طى أدبها الفارسي خوفاً! وتركت دينها و دخلت فى دين اللّه افواجاً خوفاً! ولم تدافع عن حكومتها المحبوبة لديها خوفاً! ولم تدافع عن دينها المحبوب خوفاً! و باختصار: فان كل ما ظهر فى تاريخ هذه الأُمة طوال اربعة عشر قرناً من الزمان انما كان ــ كما يقول هؤلاء ــ نفاقاً و رءاءاً و خوفاً و جبناً و خسة ودناءة!! وان الشيئ الذي لم يكن له اى وجود فى تاريخ هذه الأُمة انما هى المعرفة والاختيار وطلب الحقائق والايمان بها!.

نعم؛ هكذا يحطّم هؤلاء معنويات امتهم من حيث يريدون ان يدافعوا عنها!.

والذي يقرأ هذا الكتاب يتبيّن له آن ما يقوله هؤلاء انما هو فرية وتهم موجهة الى الامة الفارسية، و يعلم آن هذه الامة انما صنعت ما صنعت بمعرفة و اختيار، و انها كانت صادقة و صريحة لا كاذبة و لامنافقة، وانها كانت شجاعة قوية لاخائفة جبانة، و انها كانت تتحرى الحقائق ولا تتأثر بالحوادث العابرة، و انها كانت أصيلة لاخاوية... و أن الفارسي الايراني سيحافظ على علاقته هذه بالاسلام الصحيح، بل يحاول الانشداد الى الإسلام كل يوم اكثر من ذي قبل...